



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي  
جامعة عباس لغرور-خنشلة-



كلية الأدب و اللغات  
قسم اللغة و الأدب العربي

# مفهوم الشعر

## عند توماس ستيرنز إليوت

بحث مقدم لاستكمال مقاييس شهادة الماستير في اللغة و الأدب  
تخصص الآداب الأجنبية و الأدب المقارن

إشراف الدكتور:  
يوسف الأطرش

تقديم الطالبة:  
أحلام بوعمره

الصفة	الجامعة الأصلية	الرتبة	لاسم و اللقب
رئيسا	جامعة خنشلة	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عمر عيلان
مشرفا و مقررا	جامعة خنشلة	أستاذ التعليم العالي	أ.د يوسف الأطرش
عضوا ممتحنا	جامعة خنشلة	أستاذ مساعد -ب-	أ. إلهام شادر

العام الجامعي: 2014-2015

1

إهداء

5

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

سورة النمل: 105.

A

إلهي لا يطيب الليل إلا بشرك ولا يطيب النهار إلى بطاعتك .. ولا تطيب  
اللحظات إلا بذكرك .. ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا  
برؤيتك.. يا q

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة  
ونور العالمين .. سيدنا محمد S

ليس إهداء .... بل تقديرا وحناء

حبا ووفاء..... لمن كانوا هدية السماء

إلى الذي علمني معنى الاخلاص والتضحية والعطاء ....

إلى رمز الحنان...إلى التي تحت أقدامها جنة السماء أُمي .

## شكر وعرفان:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على  
أشرف المرسلين.

كل الشكر لله خير معين وبه أستعين في كل عمل،  
وأحمده أن أعاني على إنجاز هذا العمل المتواضع  
وبشعور غامر، وبالتقدير والوفاء أتقدم بالشكر  
إلى المشرف الأستاذ الدكتور يوسف الأطرش  
الذي أمدني بالعون وأنار لي طريق العلم.

إن اختياري لدراسة موضوع مفهوم الشعر عند توماس ستيرنز إليوت **Thomas Stearns Eliot** لم يكن مجرد قراءة عابرة، إنما كان لهذا الاختيار أسباب نفسية أكثر منها فكرية، حيث أجد نفسي مع هذا الشاعر متأثرة به إلى أبعد حد في العديد من قصائده التي صورت القحط الذي حل بالعالم المعاصر، والذي أدى به إلى السقوط، وضعف إيمانه وطغيان المادة عليه، إليوت مهما تحدثت عنه لن أوفيه حقه، بعث في نفسي فضولا كبيرا حول حياته، شعره، ثقافته، آرائه. موضوع هام كهذا يحتاج إلى الدراسة والتعمق في أغواره، لأنه يقدم معلومات معرفية كثيرة حول مفهوم الشعر في الفكر النقدي المعاصر.

عبر الكثير من الشعراء عن أزمة المادة وسيطرة القيم الفاسدة في المجتمعات الحديثة كوقائع حضارية، فرضت نفسها على مستوى الفكر فاختلفت الأساليب وطرائق التعبير عنها لتظل إشكالية التلقي قائمة عند كل قارئ.

لما كان الإنسان هو أزمة الشاعر المعاصر وقضيته الكبرى، ظل يعاني رحلة البحث عن الكلمة والدلالة عن العالم المميز الذي يخلق تجليا متميزا لتلك القضية، بحيث يحقق لحظة القراءة واللقاء الخاص بينه وبين المتلقي، وتشكل القيم الروحية والفكرية للمجتمع الحديث الهوة التي تفصل بين الإنسان المعاصر وذاته، ليظل أبدا يصارع مأساة الضياع والبحث عن القيم المنشودة التي تعدم صراع الخوف من الموت، والمادة، والصراعات يشتد لقاء نفسه، بل لقاء الإنسان بعد رحلة البحث عنه.

فالشاعر بعد كل هذا يعاني مأساة الرحلتين؛ رحلة البحث عن نفسه كإنسان؛ ورحلة البحث عن الإنسان كونه شاعرا، ليعيش بذلك رحلا أبدا مميزا. لم أجد قط من عبر عن هذه المعاناة كما عبر عليها الشاعر الناقد إليوت **Eliot** حضاريا وفنيا عبر عنها من خلال الرموز الأسطورية والتاريخية والدينية لما تحمله من انسجام في عناصرها.

بناء على هذه الأهمية التي للشاعر والناقد إليوت، اخترت أن أبحث في جملة القضايا النقدية التي ميزت اتجاهه النقدي، وبخاصة ما يتعلق بمفهوم الشعر المعاصر عنده، وما هي الأدوات التعبيرية التي يراها مناسبة لتصوير الواقع المعاصر بجميع تناقضاته وتقلباته، ومن ثم عنونت بحثي " مفهوم الشعر عند إليوت". ولإلمام بأهم جوانب هذا الموضوع، قسمته إلى مدخل وفصلين، حاولت في المدخل إعطاء صورة مختصرة للبيئة الإنجليزية في القرن العشرين، ومراحل تطور الأدب الإنجليزي فيها. أما الفصل الأول فقد خصصته للموضوعات النظرية المتعلقة بـ: إليوت الشاعر ينقسم إلى جزئين؛ الأول " شاعرية إليوت"، والثاني "موضوعاته الشعرية"، مفهوم الشعر

المعاصر وعنده بخاصة تناولت مميزات الشعر، خصائصه أبعاده وموضوعاته، وكان كل جزء متبوعا بنماذج توضيحية.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لنظرية النقد عند إبيوت، وهذا الجزء ينقسم بدوره إلى " آراء إبيوت النقدية ومذهبه الفلسفي والديني"، و " نظرية المعادل الموضوعي ودورها في تأسيس النقد المعاصر".

أنهيت البحث بخاتمة، حاولت أن أخص فيها أهم النتائج التي حققتها في هذا البحث، وقدمت له بمقدمة توضح مساره.

اعتمدت جملة من المراجع الهامة في مجال الآداب الأجنبية والأدب المقارن، منها "محاضرات في تطور الأدب الأوروبي" لـ الدكتور حسام الخطيب، الذي تناول الآداب الأجنبية بعامة، استفدت منه كثيرا وبخاصة ما يتعلق بالمعادل الموضوعي ودوره في تأسيس النقد المعاصر. وكتاب "الأدب الحديث" لـ: لويس عوض، الذي تطرق لبعض الآراء الفكرية للشاعر إبيوت، ومذهبه الفلسفي والديني، بالإضافة إلى كتاب الدكتور عبد الواحد لؤلؤة "الأرض اليباب الشاعر والقصيدة"، الذي درس وحلل قصيدة إبيوت " الأرض اليباب" فنيا وجماليا.

أما فيما يتعلق بمنهج الدراسة قد فرضت عليا طبيعة الموضوع أن انتهج الطريقة الوصفية في دراسة وتحليل آراء الشاعر الناقد، كما استفدت كثيرا من المنهج التاريخي في تتبع مسار إبيوت الشعري والنقدي، كل هذا في ضوء تطور الادب الإنجليزي المعاصر.

واجهتني في إعداد هذا البحث جملة من الصعوبات تتمثل أساسا في ندرة المراجع، إن لم اقل عدم وجودها على الإطلاق، وصعوبة الموضوع في حد ذاته، لأنه متشعب ويحتاج إلى استعداد خاص علميا وزمنا.

كلمة شكر أوجهها لأستاذي المشرف يوسف الأطرش الذي وجهني في إنجاز هذا البحث، وأمدني بالعون وأنار لي دربي وزودني بمجموعة من المراجع، كما وجهني إلى الطريق الصحيح علميا ونفسيا.

وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى قسم اللغة والأدب العربي بكلية الآداب واللغات - جامعة عباس لغرور خنشلة- الذي منحني فرصة البحث. وأتمنى أن أكون عند حسن ظن زملائي الطلبة الذين سيستفيدون من دون شك من هذا البحث والله ولي التوفيق

# مدخل في الأدب الإنجليزي

يعد الأدب الإنجليزي أساس الثقافة الغربية الحديثة، يدرس عادة كل ما يتعلق بالفترات التاريخية الكبرى، كالعرون الوسطى وعصر النهضة وغيرها من العصور. زيادة على ذلك يهتم بكل ما يكتبه الكتاب والمفكرون من إنجلترا أو بلدان أخرى ناطقة بالإنجليزية وفي مجالات أدبية كالشعر والنثر والمسرحية. هو أدب غني في مجالاته المختلفة.

مثّل الأدب الإنجليزي القديم الممتد من عام 500 إلى عام 1100م أدبا لفترة "استقرت القبائل الألمانية -المعروفة بالأنجلوسكسونية- في إنجلترا في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وعُرفت اللهجات التي كانت تتكلمها باسم الإنجليزية العتيقة أو الأنجلوسكسونية، وكانت تمثل لغة أديهم حتى نهاية تلك الفترة.

شغلت المؤلفات الشعرية والنثرية المكتوبة باللغة الأنجلوسكسونية أو اللغة الإنجليزية القديمة بالتركيز على تمجيد الأبطال ومحاولة تعليم صفات الشجاعة والكرم، معظمها لشعراء مجهولين. مثلا تعد ملحمة **بيوولف**<sup>1</sup> (**Beowulf**) أول عمل رئيس في الأدب الإنجليزي، وكان لمعظم كتاب النثر باللاتينية حتى القرن التاسع الميلادي حظ في ترجمة الأعمال الأدبية؛ حيث قام ألفريد الأكبر ملك **وسكس** بترجمة عدة أعمال من اللاتينية إلى الإنجليزية العتيقة، من أهمها التاريخ الكنسي للأمة الإنجليزية 731م للراهب بيدي، وهو أول سجل لتاريخ هذا الشعب ومصدرهم عن حياته<sup>2</sup>، مما يدل على أن الأعمال القديمة ساهمت في منح العديد من كتاب الشعر والنثر الحظ في الاطلاع على مؤلفاتهم وترجمتها.

<sup>1</sup> -ملحمة شعرية وطنية إنجليزية قديمة، تتميز بالسجع، وتعد من أهم الأعمال الأدبية الأنجلوساكسونية، يعود تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي.

<sup>2</sup> - الأدب الإنجليزي. اطلع عليه يوم: 05 مارس 2015م، الساعة: 19:00 (www.lenglichawe.com/fi3montada Dam flower).

استولى النورمنديون -القادمون من فرنسا- على إنجلترا عام 1066م، ومنذ ذلك التاريخ بدأ أفراد البلاط والطبقات العليا الإنجليزية يتكلمون اللغة الفرنسية لمدة تزيد عن مائتي عام، إلا أن اللغة الإنجليزية بقيت لغة الطبقة الشعبية.

استعادت اللغة الإنجليزية مكانتها في أواخر القرن الرابع عشر بوصفها اللغة القومية الرئيسية، لكن في حلة جديدة تسمى الإنجليزية الوسيطة، كانت مكونة من عناصر من الفرنسية واللاتينية والإنجليزية القديمة واللهجات المحلية.

إن ما ميز الأدب بعامة على مر العصور هو مراحلها المختلفة التي مر بها، والتي جعلت منه أدبا متميزا يستحق الدراسة والتعمق في أغواره لمعرفة التاريخ الأوروبي.

نجد للقصة أيضا حضورا بارزا تمثل في نشأة قصص المغامرات الخيالية، تدعى الرومانس (**Romans**) مكتوبة شعرا تصور عن المعارك والأبطال. نشأت في فرنسا خلال القرن الثاني عشر الميلادي (12م). وأصبحت أكثر أنواع الأدب انتشارا في إنجلترا في القرن الذي يليه، وهذا دلالة على أهميتها وما فاضت بها قريحتها من معنى وهدف واضح.

وفي عام 1155م أكمل شاعر نورميدي يدعى ويس (**Weiss**) أول عمل يأتي على ذكر فرسان المائدة المستديرة تحت إمرة آرثر (**Arthur**) الملك البريطاني التاريخي، وأصبح يمثل وفرسانه الموضوع المفضل في قصص المغامرات الخيالية. وفي القرن الخامس عشر الميلادي كتب السير توماس مالوري\* عملا نثريا باسم "موت الملك آرثر"، ومثلت أكبر مجموعة قصصية إنجليزية كاملة عن حياته<sup>1</sup>.

عرف تشوسر (**Geoffrey Chaucer**) بأنه أعظم كتّاب هذه الفترة برائعته حكايات كانتبري (**The Canterburytools**) ذات الروح العالية في التأثير. كتب أيضا مجموعة من القصص الهزلية الهادفة، يحكيها المسافرون وهم في طريقهم من لندن إلى معبد ديني يسمى كانتبري (**Canterbury**). قدم في عمله هذا نموذجا إيقاعيا يسمى بالبحر العمبقي ذو التفعيلة الخماسية، تتكون التفعيلة فيه من عشر مقاطع يكون الأول فيها

<sup>1</sup>-المرجع السابق.

منبوراً وهكذا بالتالي إلى آخر السطر ليصبح البحر العمقي بعد تشوسر واسع الانتشار في الشعر الإنجليزي.

تطورت الإنجليزية الأولى من مناظر قام الكهان بتمثيلها في باحات الكنائس لتوضح قصص الإنجيل، لتتطور بعدها إلى أعمال كاملة تدعى بالمسرحيات الدينية ومسرحيات المعجزات؛ تناولت الدينية منها حوادث الإنجيل بينما تناولت الأخرى حياة القديسين، ثم ما لبثت نقابات التجار أن احتكرت تمثيلها وإخراجها إلى ساحات المدن<sup>1</sup>.

مما لا شك فيه أن العصور الوسطى كانت فترة انحطاط وتأخر في أوروبا حسب ما يعتقد البعض، إلا أنها مثلت واحدة من أهم فترات التاريخ الأوربي، وأساس فهم التاريخ الحديث.

كان لقيام الثورة الإنجليزية في القرن السابع عشر الميلادي، فاتحة الثورات الضخمة، دوراً هاماً وكبيراً في صنع التاريخ الحديث في القارة الأوربية بأسرها، أسهمت من خلال ذلك في ترك أثر بارز في تاريخ البلاد ومصير القارة بأكملها، فبدأت مع معارضة الحكم الملكي المطلق والكنيسة الإنجليزية التي تدعمه في أوساط البوريتانيين أو الطهوريين (Puritanisme)\* وتتخذ شكلها الرسمي في البرلمان الإنجليزي منذ نهاية القرن السادس عشر الميلادي، ودعوته إلى الانعقاد بعد فترة انقطاع طويلة. مما أدى إلى تضخم الأزمة ونشوب حروب أهلية بين المتصارعين لنترك هذه الأخيرة أثراً في حياة البلاد، ومد يدها

<sup>1</sup> - المرجع السابق

\* حركة أصولية نشأت في أحضان البروتستانتية الإنكليزية في القرن السادس عشر، كانت تسعى "لتطهير" الكنيسة الأنكليكانية من كل ما هو غير وارد في الكتاب المقدس. كان الطهوريون يعتبرون بأن الإصلاح الذي قامت به الملكة إليزابيث (1558 . 1603) لم يكن كافياً ليزيل كل مظاهر الكثرة مثل الليتارجيا ولباس رجال الدين والهرمية الأسقفية. من مؤسسي هذه الحركة: توماس كارترايت (Thomas Cartwright)، والتر ترافرس (Walter Travers) ووليم بركينس (William Perkins).

\* السير توماس لور ي: مترجم انجليزي. ومجمع للعمل الكلاسيكي المشهور موت الملك آرثر

إلى أمريكا لتحدث فيه عددا من المستعمرات الضخمة، لتصل أخيرا بالقضاء على مصالح الإقطاع، وجعل البرجوازية الإنجليزية سيدة البلاد.

تمثلت بداية اللغة الإنجليزية الحديثة بارتقائها من وسيطة إلى حديثة، فكان الانجليز يقرؤون ويكتبون بلغة شبيهة باللغة المستخدمة اليوم، مما أتاح لكتاب العصر الإليزابيثي بتأليف أبرز الأشعار والمسرحيات المهمة في الأدب العالمي مع مساهمتها في تحقيق إنتاج أدبي رائع. حدثت أهم التطورات عام 1476 عند إنشاء ويليام كاكستون (William Caxton) أول مطبعة في إنجلترا، عكس كتب ما قبل التي تنسخ باليد، فساعدت الطباعة في إنتاج أعداد أكبر من الكتب وبأسعار منخفضة، مما ساعد في سرعة الإقبال عليها. حلت الترجمة هنا محلها فتأثر العديد من الكُتّاب بترجمات أعمال أدبية رومانية، إضافة إلى دخول أنماط جديدة طرقتها إلى الأدب الإنجليزي كالمقالة من اللغة الفرنسية والسوناتة من اللغة الإيطالية.

ازدهرت ثلاثة أنواع رئيسة من الشعر في العصر الإليزابيثي وهي: القصيدة الغنائية، السوناتة والشعر القصصي.

### 1- القصيدة الغنائية:

قصيدة تعبر عن عواطف الشاعر الشخصية في أسلوب غنائي، كتب توماس كامبيون (Thomas Campion) أغنيات عديدة في كتب الرغبات عام 1601م - 1617م كما لحن العديد من قصائده الغنائية.

### 2- السوناتة:

هي قصيدة مكونة من أربعة عشر بيتا من الشعر، تتبع نمودجا معيناً من الإيقاع والقافية. كتب الإليزابيثيون نوعين يختلفان في ترتيب القافية هما السوناتة الإنجليزية والسوناتة الإيطالية. كتب ويليام شكسبير (Shakespeare William) و إدmond Spenser السوناتات المتتالية المشهورة، والتي تدور حول موضوع واحد، نذكر منها سوناتات شكسبير التي أهداها إلى سيدة سمراء مجهولة.

### 3- الشعر القصصي:

كتب شكسبير Shakespeare وسبنسر Spenser أشعارا قصصية، بنى شكسبير قصيدته فينوس و أدونيس ( Venus and Adonis ) على أسطورة رومانية. في حين اقتبس سبنسر بشكل مكثف من أدب القصص الخيالية والمغامرات في العصور الوسطى في رائعته ملكة الخيبات ( Queen disappointments ). ساهمت هذه الأنواع الشعرية في العصر الإليزابيثي مساهمة فعلية في ظهور أعمال أدبية استحققت أن تتال شهرة عصرها والعصور التي جاءت من بعدها<sup>4</sup>.

أنشأ جيمس بيريج (James Bereg) في عام 1576 أول مسرح في إنجلترا سماه "المسرح" (Theater) في ضواحي لندن، وكان لمسرح بيريج حافزا لبناء مسارح أخرى. عرفت المسرحية الإليزابيثية بحيويتها وتركيزها على العاطفة، فكانت مسرحية توماس كيد "المأساة الإسبانية" من أقدم المسرحيات، مليئة بمناظر العنف والجنون. ويبقى شكسبير أعظمهم كتابة، فلم يستطع أي كاتب إنجليزي آخر محاكاة شعره وقدرته على تحليل الشخص.

مثل أيضا عصر جونسون (1750-1784) عصرا للإنجازات الأدبية، حيث ألف معجم اللغة الإنجليزية المشهور بتعريفاته واستعماله لنصوص مقتبسة، وظهر أيضا أول شاعرين مشهورين في الشعر الرومانسي ويليام وردزورث ( William Wordsworth )، وصمويل تايلور كوليريدج ( Samuel Taylor Coleridge )، حيث ألف مجلدا من الشعر تحت عنوان القصائد القصصية الغنائية 1798. عاش كلاهما في مقاطعة البحيرة في شمال غربي إنجلترا، وكتبا بصورة مؤثرة عن جمال الطبيعة وعن حياة الريف.

#### • العصر الفكتوري:

يعد هذا العصر مرحلة انتقال بين العصر الرومانتيكي والعصر الحديث، بعد تولي فيكتوريا العرش عام 1837، بدأ الأدب يدخل سنوات عجافا بعد فترة الانتعاش الابتداعية،

<sup>4</sup>-المرجع السابق

وتساءل الناس هل هناك من يخلف شيلي Shelly وكيثس Keats وبيرون Bayron وكولوردج وسكوت. إلا أن السنوات العجاف لم تكن سوى فترة مخاض، وسرعان ما تألق في الإنجليز شعراء عظام مثل ألفريد تينيسون Tennyson Alfred وروبرت براوتيج Robert Brauj وماثيو آرنولد Arnold Matthew. وكتاب مجددون مثل تشارلز ديكنز والأخوات برونتي Bronte . وجورج اليوت Eliot George. استطاع هؤلاء أن يبلغوا بعصرهم المرتبة الثالثة من الازدهار في الأدب الإنجليزي بعد العصر الإليزابيثي الزاهر والفترة الرومانسية الساطعة<sup>1</sup>

مما يدل على أن العصر الفيكتوري كان يمثل لتاريخ إنجلترا فترة ركود وتخلف وجمود، "جمود في الأدب باعتباره فن من الفنون الجميلة عصر سبقه شاعران كان يُنظر منهما بعث لنهضة جديدة، شيلي وبراون ماتا دون أن يترك لهما خلف ومضى العصر على طوله وكأنه عصر الظلام وسبب ذلك يعزى الى شيئين:

1- الروح المادية التي انتشرت بين الإنجليز بتدفق الثورة عليهم ونجاحهم في الاستعمار.

2- الروح الدينية التي ورثها الإنجليز عن النهضة الطهرية<sup>2</sup>.

لكن سرعان ما انتقل الأدب الإنجليزي إلى الواقعية شأنه شأن الآداب الأوروبية الأخرى، وكان لذلك عوامل اجتماعية وسياسية أهمها:

1- توطيد النظام الديمقراطي الليبرالي القائم على الحرية الفردية، وتولي مجلس العموم

السلطة الفعلية في البلاد، وشمول حق الانتخاب لمعظم فئات الشعب البريطاني.

2- التمثل الاجتماعي الناتج عن تمادي الرأس مالية في استغلال الطبقة العاملة في

سياسة تجميع الأرباح، بالرغم من أنها أنهت نظام الرق رسمياً.

أدت هذه الأسباب إلى تباين كتاب العصر الفيكتوري بين غنى الطبقتين المتوسطة العليا وحالة الطبقة الفقيرة المزرية.

<sup>1</sup> - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأوربي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية. مطبعة طربين، 1974-

1975، ص: 251.

<sup>2</sup> - سلامة موسى. الأدب الإنجليزي الحديث. ط1، سلامة موسى للنشر والتوزيع، ص: 15.

نالت روايات هذا العصر شهرة كبيرة كروايات شارل ديكنز التي تمتاز بشخصياتها الغنية والغريبة الأطوار في بعض الأحيان؛ ففي روايتي "أوليفر تويست" و"دفيد كوبرفيلد" يصف ديكنز حياة أطفال حولتهم قسوة الكبار وغيبؤهم إلى جحيم صور أيضاً الجانب المظلم للحياة في روايته "البيت الكئيب"، فأصبحت قائدة الفنون الأدبية.

اشتهرت الروايات بتصوير الجوانب الاجتماعية القاهرة وقسوة المتسلطين ذوي الطبقات العليا على من هم دونهم. حتى أن أفضل الأعمال الشعرية والنثرية الفكرية تميزت هي الأخرى بأسلوب جد متشائم.

### • أدب ما قبل الحرب العالمية الأولى

شهد أدب ما قبل الحرب العالمية الأولى حصول العديد من المؤلفين على شهرة عالية، وخلال الفترة التي بدأت بموت الملكة فكتوريا لتنتهي باندلاع الحرب العالمية الأولى في 1914، كتب العديد من هؤلاء روايات ومسرحيات في النقد الاجتماعي، ومع نهاية هذه الفترة تحول جماعة منهم إلى قيم العصر الرومانسي والكتابة بأسلوب وردزورث؛ فبعد تولي إدوارالعرش ظهر روائيون إدارديون منهم آرنولد بيتوا تشجي وولز. كتب بيت عن حياة الطبقة المتوسطة المملة في المدن في وسط إنجلترا، وأصبح ولز مشهورا بسبب حرب العوالم وغيرها من روايات الخيال العلمي. في حين كتب جوزيفكونر البولندي روايات نفسية ثاقبة عن موضوعات الجريمة والبطولة والشرف. وبرز شعراء القرن العشرين المعروفون بالجورجيين جاء اسمها من جورج الخامس الذي أصبح ملكا بعد وفاة أبيه إدوارد السابع، كتواشعرا رومانسيا عن الطبيعة وملذات حياة الريف، وهنا برز روبرت بروك وجون ماسفليدأبرز شعراء هذه المجموعة.

### • شعر ما بين الحربين

تغير الشعر الإنجليزي من حيث الشكل والمضمون بين نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية، تاركا دمارا مخيفا للحرب العالمية الأولى بإحساس أن المجتمع قد انتهى. ولخص توماس إليوت T.S Eliot يأس هؤلاء في قصيدته الأرض اليباب The waste Land، التي تعتبر أكثر أشعار هذه الفترة تأثيرا.

### • بعد الحرب العالمية الثانية

ظل الكتاب ينتجون أعمالاً مهمة، تستكشف المستقبل كتب جورج أوريل روايته مصورا فيها مجتمعا مستقبليا يشوه الحقيقة ويحرم الأشخاص من التمتع بحياتهم الخاصة.

بهذا حاولت أن أعطي لمحة جد مختصرة عن حال الأدب الانجليزي والمراحل التي مر بها. ومن بين أبرز ممثلي الأدب الأنجليزي ونقده في العصر الحديث، الشاعر الناقد **توماس ستينس إيبوت**

وهو أديب وشاعر كبير، اشتهر بذكر اسمه مختصرا، استخدم الحروف الأولى منه مع الاكتفاء بلقبه واسمه الكامل **توماس ستيرنز إيبوت<sup>1</sup>**، ولد في "ميسوري بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1888، وتنسب أسرته إلى مهاجرين ثلوا من إنجلترا الجديدة **نيو إنجلاند** من **كوكر الشرقية - سومرست - بإنجلترا** وكان قدومهم في القرن السابع عشر. كان والد إيبوت على مستوى عال من الثقافة والثراء مكنه من أن يكمل تعليمه في جامعة **هارفارد** حيث درس الفلسفة بين عامي 1906 و1914. لقد أبدى إيبوت منذ البداية اهتماما بشعراء القرن التاسع عشر الفرنسيين وفي مقدمتهم **بودلير ولافورج**، وفي تلك السن المبكرة 1910-1911 كتب أولى قصائده المهمة وهي أغنية **حب لـ جي ألفريد بروفروك** التي أصبحت عنوانا لمجموعته التي صدرت عام 1917.

لقد تنقل إيبوت بين فرنسا وألمانيا وإنجلترا من أجل الدراسة وقد استقر به المقام أخيرا في إنجلترا عام 1916م حيث تزوج من فتاة إنجليزية تدعى **فيبيان هيج وود**. عمل إيبوت في بدء حياته العملية معلما ثم انتقل إلى وظيفة في بنك لويد ومن ثم عمل محررا مساعدا لمجلة **ذا يجويست**. وفي عام 1922 عمل محررا لمجلة **ذا كرايتيون** حيث بقي في هذه الوظيفة حتى عام 1939. ولقد أتاح له العمل في هاتين المجلتين فرصة الانتشار بسبب

<sup>1</sup> - ت، س، إيبوت، حفلة كوكتيل، ترجمة أمين سلامة، ص 05.

نفوذها الأدبي الكبير. لقد نشر **إليوت** مجموعته الشعرية الثانية عام 1920 بعنوان *Cravos prec* وفي نفس العام أصدر مجموعته النقدية الأولى بعنوان *الغابة المقدسة*<sup>1</sup>. كان **زواج إليوت من فيفيان وود** غير موفق، ولقد تدهورت صحته من خلال هذا الزواج إلى درجة كبيرة مما حدا به أن يأخذ إجازة طويلة قضى جزءها الأول في **مارحيت** بجنوب إنجلترا ثم قضى جزءها الثاني في **لوزان** في سويسرا وخلال هذه الفترة كتب قصيدته الشهيرة **الأرض الخراب** التي نشرت في عدد أكتوبر من مجلة **ذا كرايتيريون** عام 1922<sup>2</sup>.

وفي خلال العشرينيات كتب **إليوت** أعظم مقالاته تأثيرا وبصفة خاصة تلك المقالات التي تناولت الأدب الإنجليزي خلال القرن السابع عشر، وظهرت كذلك قصيدة **الرجال الجوف** عام 1925. كما أنهى قصيدته **أربعاء الرماد** عام 1930 إلى جانب **The Ariel Poems**.

حصل **إليوت** على الجنسية البريطانية عام 1927، وفي عام 1928 صرح بأنه **كلاسيكي** في الأدب، ملكي في السياسة، وأنجلوكانثوليكي في العقيدة الدينية. لقد عمل **إليوت** منذ عام 1928 وحتى آخر يوم في حياته مديرا لدار نشر تعرف الآن باسم **فابرفابر** وكان قد زار الولايات المتحدة الأمريكية بعد غيبة سبعة عشر عاما عنها حيث ألقى في جامعة **هارفارد** المحاضرات التي نشرها اليوم باللغة العربية بعنوان **فائدة الشعر وفائدة النثر**. كما مثلت له في السنة التي أعقبت إلقاء هذه المحاضرات في لندن مسرحية **الصخرة**، وكان **إليوت** قد أظهر ميلا واضحا في كتابه المسرحية من خلال مسرحيته غير المكتملة **Sweeny Agonises** التي كتبها عام 1927 واستطاع فيما بعد أن يطور هذا

<sup>1</sup> - ت، س، **إليوت**، **فائدة الشعر وفائدة النقد**، ترجمة يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت-لبنان، ط1، 1982، ص

.05

<sup>2</sup> انظر المرجع السابق، ص: 6

الميل حيث كتب خمس مسرحيات ما بين 1935 و 1938، وهي مسرحية اغتيال في الكاتدرائية واجتماع شمل العائلة والكاتب لسري وحفل كوكتيل ورجل الدولة الأكبر<sup>1</sup>.

"وقد لاقت جميع هذه المسرحيات رواجاً كبيراً، وكان نشر أولى ربايعاته *Burnt Norton* عام 1935 وأكملها أربعا عام 1942، أما كتاباته الأخيرة فقد وضع فيها ميله الى مخاطبة جمهور أعرض من جمهور الأرض الخراب. ذلك ما جعله يتجه إلى التقليل من الإشارات الأدبية المزدحمة، حصل على جائزة نوبل في الآداب عام 1948، وهو نفس العام الذي توفيت فيه زوجته الأولى التي انفصل عنها منذ زمن طويل.

وفي عام 1957 تزوج إليوت سكريترته فاليري فليتشر وعلى الرغم من اعتلال صحته في الخمسة عشر عاما الأخيرة فقد استطاع أن يقوم بأعباء السفر لإلقاء محاضراته وكانت سنواته الأخيرة من أسعد مراحل حياته<sup>2</sup>.

توفي إليوت في يناير عام 1965 عن ست وسبعين عاما،<sup>3</sup> تاركا أعمالا درامية معروفة بشكل أقل من شعره. ناهيك عن ذلك ساهم أيضا في مجال النقد الأدبي إسهامات مؤثرة خصوصا بمدرسة النقد الحديث المؤثرة التي دعا إليها. ورغم أنه قلل من عمله كناقد قائلاً بأن أعماله النقدية لم تكن غير منتج جباري الورشة الشعرية الخاصة، إلا أنه يُعدّ واحدا من أعظم نقاد القرن العشرين الأدبيين. حتى أن الناقد حتى أن الناقد ويليام إمبسون قال مرة: "لا أعرف يقيناً كم اخترعه عقلي [إليوت]، ناهيك عن كم منه يعد رد فعلٍ ضده، أو ناتج قراءة مغلوطة له. إنه تأثير موغل،

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 6-7.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 7.

<sup>3</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 07.

وربما ليس على عكس الريح الشرقية<sup>1</sup>.<sup>1</sup> بذلك مثل إيوت واحدا من أهم نقاد مدرسة النقد الجديد لما قدمه من أهمية وقيم للعمل الفني.

اعتبر أيضا أن التقليد والموهبة الفردية أبقت العامة بعيدا عن الانخراط في الأدب أو الأدب عن الانخراط فيهم. وبصر إيوت في مقاله هذا على أن الشاعر الشاب يحتاج فقط لتمثيل المقياس الذكوري للمؤلفين المكرسين الذين ساهموا في التعريفات العامة للحدث الأدبية سيستعيد ثقافة العامة.

## بيليوغرافيا مؤلفاته<sup>2</sup>

### الشعر

- برروفروك وملاحظات أخرى (1917)
  - أغنية حب جي. ألفرد برروفروك
- قصائد (1920)
  - جيرونشن
  - سويني بين ملائكة الليل
- الأرض اليباب (1922)
- الرجال الجوف (1925)
- قصائد آرييل (1927-1954)
  - رحلة المجوس (1927)
- أربعاء الرماد (1930)
- كوريولان (1931)
- كتاب الجرد العجوز عن القطط العملية (1939)
- نشيد زحف الكلاب البوليفية، بيلي مكاو: الببغاء المميز وكتاب الملكة عن الصليب الأحمر 1939

<sup>1</sup> - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)ت، س، إيوت، اطلع عليه يوم: 2015/03/21 على الساعة 15:00.

<sup>2</sup> - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)ت، س، إيوت، اطلع عليه يوم: 2015/03/21 على الساعة 15:00.

• الرباعيات الأربع (1945)

### المسرحيات

- صراعات سويني (نُشرت في 1926م، تُلت لأول مرة في 1934)
- الصخرة (1934)
- جريمة في الكاتدرائية (1935)
- لم شمل العائلة (1939)
- حفلة كوكتيل (1949)
- الموظف الموثوق (1953)
- رجل الدولة الكبير (مُتلت لأول مرة في 1958، ونُشرت في 1959)

### غير الخيالية

- العقل من الطبقة الثانية (1920)
- التقليد والموهبة الفردية (1920)
- الغاية المقدسة: مقالات في الشعر والنقد (1920)
  - هملت ومشاكله
- تقدير جون دريدن (1924)
- شكسبير وصوفية سنيكا (1928)
- إلى لانسلوت أندروز (1928)
- دانتي (1929)
- مقالات مختارة، 1917-1932 (1932)
- فائدة الشعر وفائدة النقد (1933)
- وراء آلهة الغريبة (1934)
- مقالات إليزابيثية (1934)
- مقالات عتيقة وحديثة (1936)
- فكرة المجتمع المسيحي (1940)
- ملاحظات نحو تعريف الثقافة (1948)
- الشعر والدراما (1951)

- الأصوات الثلاثة للشعر (1954)
- تخوم النقد (1956)
- في الشعر والشعراء (1957)
- ما نُشر بعد وفاته
- نقد الناقد (1965)
- الأرض اليباب: طبعة مشروحة مع صور المخطوطات (1974)
- اختراعات الأرنب السائر: قصائد 1909-1917 (1996).

# الفصل الأول البيوت الشعراء والناقد

## إليوت الشاعر

الشاعرية عند توماس ستينس إليوت

مر شعر توماس إليوت ( Eliot ) بمراحل وتجارب عديدة قبل أن ينتهي إلى مرحلة الاستقرار و الاتزان والتناسق، أو كما أطلق عليها ويليام بليك<sup>1</sup> Blake (william) "بروح النبوة". حيث عبر على هذه الفكرة في صوفية مغرقة قائلاً: " أن الشاعر العبقرى هو الإنسان الحقيقي، أما الجسد أو المظهر الخارجى للإنسان فإنه مشتق من النبوغ الشعري، بل أن الأشياء كلها مشتقة من هذه الأسس ذاتها، تلك الأسس التي دعاها الأقدمون بالملاك والروح، والملاك الحارس، إن العبقرية الشعرية تدعى في كل مكان بروح النبوة"<sup>2</sup>. أي أن الإنسان الحقيقي تكمن حقيقته في عبقريته لا في جسده ومظهره الخارجى.

إذا ما سألت عن البداية الإليوتية للشعر، أستطيع أن أعود بها إلى مؤثرات ثلاث هي

:

<sup>1</sup> بليك وويليام: شاعر ورسام انجليزي.يلقب بشاعر الأحلام والرؤى من أشهر دواوينه ديوان أغاني البراءة les

les chants P experience 1794 وأغاني التجربة عام 1979 chants d innocence

<sup>2</sup> ولسن كولن.اللامنتمي .ترجمة أنيس زكي حسن.بيروت ط 1982 ص 271

1/ شعراء القرن السابع عشر الميلادي الميتافيزيقيين.

2 /الشعراء الرمز يون والفرنسيون منهم بصفة خاصة.

3/ شعر دانتي.

ندرك من خلال ذلك سر إعجاب إليوت ( Eliot ) بإدجار آلان بو و بودليير ولافورج الذين تأثروا جميعا بالحركة الرمزية وبشعراء القرن السابع عشر، ومن أكثر الشعراء تأثيرا في نفسه هو هنري جيمس الذي علمه ضرورة تجويد الصنعة وحكامها، تماما كما يحكم النثر... وهذه حقيقة تمثلت له في الكوميديا الإلهية على نحو أكثر وضوحا من أي نموذج آخر<sup>3</sup>. كان، إذا، للشعراء الميتافيزيقيين والرمزيين وشعر دانتي حظ وافر في التأثير.

إذا كنا قد أرجعنا مكونات الرؤية الفنية عند إليوت (Eliot) إلى نماذج من التراث، فإن ذلك يعكس موقفه الحقيقي من التراث وهو موقف جدير بان تقف عنده، لأن إليوت ( Eliot ) يعتبر في نظرنا شاعرا أثر في عصره كما لم يؤثر شاعر مثله من قبل، لم يرفض التراث ككثير من الذين تملأوا به، بل كان يؤمن بأن العلاقة بين الماضي والحاضر هي علاقة تكامل وثقت بعري لا يمكن فصمها، لكن ذلك لم يذهب به إلى إنكار روح عصره الخاصة، الماضي بالسبب له كان يمثل مجموعة من المفردات المفككة تحدث تأثيرها في نفس الإنسان على الرغم منه، ومن واجب الفنان أن يؤلف بين هذه المفردات ومعطيات واقعة ليخرج من هذا المزج برؤية نافذة تبصره حقيقة وجوده، فإذا عدنا إلى مفردات التراث التي آثرت فيه وجدنا سر إعجابه بدانتي كامن في قدرة دانتي على إحكام تعابيره واستخلاص الصورة البصرية الواضحة، وهي أمور حرص عليها إليوت ( Eliot )

<sup>3</sup> ت إليوت. فائدة الشعر وفائدة النقد. ترجمة وتقديم الدكتور يوسف نور عوض، دار القلم ببيروت. ص: 11

في الأرض الليباب والرجال الجوف وسائر قصائده الأخرى مما جعل هذه الأمور مميزات واضحة في أسلوبه.<sup>4</sup>

كانت لبداية حياة إليوت ( Eliot ) الفنية هي الهجوم على ما رآه في سن حياته الأولى، من المجتمع الأمريكي قبل مهاجرته إلى بريطانيا، ما رآه أيضا من تزمّت المجتمع الانجليزي بعد أن أصبح مواطنا بريطانيا، لم يستطيع الصمت أمام مختلف الأساليب المفتعلة التي يصنعها رجال هذه المجتمعات الحديثة، عافت نفسه الانحلال الذي رآه يدب في شتى نواحي الحياة فكرية كانت أو اجتماعية، إن إليوت ( Eliot ) " يصور لنا كل الفعاليات الإنسانية المتصلة بتلك التقاهة ، فلماذا لا يجلس هذا الإنسان على القش.

أدى التطور الملموس في أعمال إليوت ( Eliot ) به إلى قيامه بإيضاح هذه النقطة ذاتها، وكانت أقوى قصائده التي ترمز إلى التقاهة هي تلك التي تضمنها كتابه الأول برروفروك ( Provorock ) 1917 حيث يقول:

أنني اعد أيام حياتي بملاعق القهوة

بروفروفك المتردد الخائب الراح تحت وطأة حياة عقيم لا يقيس عمره بما خاض من معارك ولا بما أنجز من نجاحات، بل يقيس ذلك بملاعق القهوة، القهوة التي يشربها جبر ونش عام 1920:

المكوك الخالي

ينسج الريح، لا مبدأ لدي في الحياة.

أنا عجوز في بيت شقي.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص: 11

تحت حلقة عاصفة.<sup>5</sup>

الأرض الفقر عام 1922:

أرى حشودا من الناس تدور حول حلقة

على رمال ملوكيت ،استطيع أن اربط

اللا شئ باللا شئ

الأظافر المحطمة للأيدي القذرة<sup>6</sup>

لعل أغنية حب لأفريد بروفورك (The love sang of J\_Alfred P rovrock) خير مثال على سخرية إليوت ( Eliot ) من هذا الصنف من الناس الذين يعيشون في أكذوبة كبرى، هذا الجذب النفسي الخطير ،هو الذي أوحى لأليوت بقصيدته الأرض الخراب، كذلك ألهمته قصيدة الرجال الجوف، كما سبق وأشرت في الأرض اليباب تركزت ثورته على الحياة القاحلة التي رآها تنتشر من حوله حتى تكاد تمول كل اثر للنشوة الروحية التي يهفو إليها ويسعى لتحقيقها ويصرح في هذا بعض الباحثين انه على الدارس ان ينتبه الى الشاعر الى جوانب اخرى جديرة بعناية الباحثين في الشعر الحديث. حتى يقول في الفارغين أشياء تشبه بما فيها من إنكار نهائي ما في جيمس وليم (William James) من يأس تام وإِنكار نهائي للحرية، إنكار حتى لاحتمال وجود الحرية:

هكذا ينتهي العالم

هكذا ينتهي العالم

هكذا ينتهي العالم

لا برجة عنيفة و إنما بنواح خافت<sup>7</sup>

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص: 142-143

<sup>6</sup> ولسن كولن. اللامنتمي. ص: 140

<sup>7</sup> المرجع السابق، ص: 141

This is the way the word ends  
 This is the way the word ends  
 This is the way the word ends  
 Not with a bang but a whimper<sup>8</sup>

تعبّر هذه الأسطر بوصفها قطب مضاد الرؤية لـ (ويليام بتلريبتس) في قوله:

روح شريرة تجري وراءها، تلاحقها  
 أكثر فأكثر في كلكني، بداية القرن الرابع عشر  
 ومر من هنا ليرجس عيناه الواسعتان بلا فكرة  
 تحت ضلال خصل الحمقى المصغرة بلون القش  
 وذلك شيطان الوقح روبرت أرتيسون  
 الذي أتت له المغرمة، السيدة كيلتر  
 بريشات من طاؤوس برونزي  
 وأعرف حمر من ديكتها

يتضح لي من خلال هذه الأبيات أن (بييتس) و (Eloit) يتحدثان عن شيئين مختلفين، ناتج عن الخلط بين الحداثة وشعر اللامعنى، فرؤية (بييتس) لفوضى العالم لا تختلف إطلاقاً عن رؤية إليوت (Eliot) الذي يرى العالم شيئاً فوضوياً يخلو من المعنى، ينتهي بهذيان محموم يعقبه صمت تام.

يجدر بنا أن نلاحظ التطور الذي حدث في أسلوب إليوت (Eliot)، الذي أوصله لهذه المرحلة فهو لم يترك مرحلة واحدة من المراحل التي مر بها اتجاهه الديني دون

<sup>8</sup> The mirrorackedar\_blogspot.com/2010\_06\_01 archive.html

تسجيل في قصائده، مرحلة تلو الأخرى مبتدئين بأربعاء الرماد التي تبدأ بتكرار لوضعية  
الفارغين ذاتها

يقول:

لا نني لا أمل في العودة ثانية . لا نني لا أمل .  
لأنني لا أمل في العودة ."<sup>9</sup>

ثم يتبع ذلك بتقرير للحالة التي وصل إليها، وهي اليأس الذي يصيب متوسطي العمر،  
وفقدان الإيمان وعدم القدرة على الكف عن التفكير:

إنني أصلي، لعلي أنسى  
تلك الأشياء التي ابحتها بيني وبين نفسي بالحاح  
التي أوضحها بأكثر مما يجب  
لقد بلغ التفكير ، اللاهاف، اللانهائي"<sup>10</sup>

مثلت هذه الجوانب التي لا تقف عند دراسة التطور الذي سار فيه شعر  
إليوت (Eliot)، حتى انتهى إلى هذه المرحلة من التصوف، و إنما تتعدى ذلك دراسة  
أسلوبه الذي نلمس في شعره بعض العوامل الأساسية التي تضافرت على خلق شخصية  
غنية فريدة من نوعها،

أولها:

<sup>9</sup> كولن ولسن. المرجع السابق. ص: 142

<sup>10</sup> المرجع نفسه، ص

الثقافة المعاصرة، فتقافة إليوت ( Eliot ) ليست ثقافة عادية بل هي مجمع لثقافات قديمة وحديثة، وما من دارس لشعره الاستطاعة في أن يغفل لهذا العامل الذي لعب دورا كبيرا في أسلوبه ،وطريقته الشعرية. إذا كنا قد ذكرنا إليوت (Eliot) المسيحي المحافظ ،فلا بد أن نذكر العالم الذي جمع إلى الموهبة الشعرية اطلاعا واسعا،واعيا بتراث الإنسانية ،وأفكارها عبر العصور ، ولعل اطلاعه هذا هو الذي جعل شعره يعتمد في عناصر أبحاثه على ما يقتبسه من أحداث الماضي وشخصه وأساطيره، هو أيضا السبب الأساس في غموض هذا الشعر ،من هنا جاءت صفة الغموض في شعر إليوت ( Eliot )، غموض العمق لا غموض النزوة، كما في شعر الرمزيين الفرنسيين. وهذا ما نجده على أوضح صورة في الأرض اليباب **the Waste land** التي قال عنها شيخ النقاد هيدجر<sup>11</sup> **Heidgger** ( 1889 - 1976 ) أنها موسيقى أفكار ربما كانت هذه العبارة من أدق ما وصف به شعر إليوت (Eliot).

في ختام المقطع الأول من الأرض اليباب **the waste land** نجد إشارات إلى ثلاثة من الشعراء الذين يمثلون التراث في دعائمه، وهم دانتي (1265 1321) القروسطي الايطالي، وسبنسر القرن السابع عشر الانجليزي، و بودلير (1821 1867) القرن التاسع عشر الفرنسي. يجتمع التراث من هذه المصادر الثلاثة ليجعل الحاضر المتمثل في الجمهور المناسب على جسر لندن حاضرا شديد البروز مدبب الحواف، غدت الحياة المعاصرة في المدن الكبرى في اروبا أثناء الحرب العالمية الأولى عبئا يثقل كاهل الإنسان الشاعر فيصيح<sup>12</sup>:

- مدينة الوهم

<sup>11</sup> هيدجر Heidgger فيلسوف ألماني

<sup>12</sup> أنظر: عبد الواحد لؤلؤة.الأرض اليباب. ص: 26

- تحت الضباب الأسمر، من فجر شتائي
- انساب جمهور على جسر لندن، غفير
- ما كنت احسب أن الموت، قد طوى مثل هذا الجمع
- حشرات، قصيرة، متقطعة، كانوا ينفثون

إلى أن يقول:

تلك الجثة التي زرعها السنة الماضية في حديقتك  
 هل بدأت تورق ؟ هل ستزهر هذه السنة؟  
 أم أن الصقيع المباغت قد اقض مضجعاها؟  
 ابعد الكلب عنها، فهو صديق البشر  
 وإلا سيحفر بأظافره ويستخرجها ثانية !  
 أنت ! أيها القارئ المرئي ! يا شبيهي، يا أخي !

هنا مدينة الوهم لندن هي مدينة بودلير باريس أو أي مدينة أوروبية كبرى ورثت حضارات العصور، ورثت ويلات الحروب لان القارئ يجب أن يكون ملم بمصادر ثقافة الماضي عند تناوله شعر إليوت ( Eliot ) بالدراسة والتحليل والإلمام بها إلمام معرفة حسية لا معرفة عقلية فحسب.

أما العامل الثاني هو أن إليوت ( Eliot ) استطاع أن يؤلف علاقة ايجابية بين أسلوبه في التعبير وبين التجربة التي يعانها 'كي يعبر عن عدم التوازن الذي في نفسه، ويصور افتقار العالم المحيط به إلى نظام ، رجع في التعبير عن ذلك إلى الأساطير التي تنتمي إلى عصور بدائية قديمة، ثم حاول أن يقرن ذلك بصور من الحياة المعاصرة، من خلال هذه الانتقالات يريد أن يبين للقارئ بأن العقم قد حل محل الخصوبة. وأن النظام قد أخلى نظاما للخراب والدمار، مثلت هذه الانتقالات داخل القصيدة، أحد العوامل المقصودة للتعبير عن الصورة العامة التي ترمز لها، أما لغموض شعره أسباب عدة:

أولها التسلسل المنطقي، فنحن لا نجد في قصيدته هذه حدثاً أو أحداثاً معينة، يعرضها الشاعر 1 بطريقة منطقية<sup>13</sup>، وإنما يحاول أن يهدم العلاقات المنطقية في القصيدة، لذلك لا نجد فيها سوى خواطر غير مترابطة في ظاهرها تمثل لحظات سيكولوجية متباينة في نفس الشخصية التي يتصورها كقوله:

خيمة النهر هوت: أواخر الورقات  
تتشبث ثم تغور في الضفة الرطبة، الريح  
تجتاح الأرض السمراء  
أيها التميز الحبيب، أجر الهوينا، حتى أتم أغنيتي  
في مساء شتائي خلف مصنع الغاز  
أتأمل في تحطم سفينة الملك أخي  
مدينة الوهم<sup>14</sup>

هذه الأسطر ليس بينهما رابط منطقي، لأن الشاعر ينتقل من بيت إلى آخر دون رابط منطقي. هذا ما يزيد القارئ تعقيداً لفهم هذا النص الشعري. أما من ناحية الأسلوب في شعر إليوت (Eloit)، فهي من النواحي الهامة التي يجدر بنا أن ندرسها، إذا أردنا أن ندرس الشعر الجديد في حياتنا المعاصرة، لها تأثير كبير وواضح في الشعراء المجددين المعاصرين .

بهذا الأسلوب قرب الشعر من الموسيقى فيه تتردد أفكار معينة كما تتردد النغمات إلى القطعة الموسيقية يدخلها الشاعر أولاً ثم يتركها، أو ينتقل انتقاله فجائية إلى غيرها ثم يعود إليها بعد حين فيكررها أو يطورها ثم يتركها ثانية ويعود إلى غيرها وهكذا.

<sup>13</sup> عبد الواحد لؤلؤة. المرجع السابق، ص: 25

<sup>14</sup> عوض لويس. المرجع السابق، ص: 238

يرى بعض الباحثين أن غاية الشعر عند إليوت ( Eliot ) أن يسمو إلى مستوى الموسيقى، وان يتحقق فيه نمط الموسيقى أو شكلها<sup>15</sup>. إذا أدركنا ذلك لا نجد غرابة في تسمية آخر قصائده التي بلغت فيها عبقريته ذروتها، كالرباعيات الأربع.

أما العامل الثالث و الأخير الذي يعمل به إليوت ( Eloit ) هو عامل الأداء الفني، في كتابه مقالات مختارة في النقد التي تعبر في الحقيقة ثروة هامة إلي دارسي النقد المعاصر مرجعا لابد من الرجوع إليه، ففي مقالته مفتاح لفهم اتجاهاته الفنية من جهة، وكذلك لفهم تأثيره عي المعاصرين من جهة أخرى حيث يقول إليوت ( Eloit ) عن وظيفة الشعر أنها تختلف وظائف الشعر حتما مع تغير المجتمع ... فصعوبة الشعر ... قد تغرى إلى محض الجدة ... ونحن على علم بالهزأ الذي لحق وردزورث وشيلي و كيتس وتنسون وبراونك، وغيرهم... إن بعض الشعر الذي شغفني هو شعر لم أفهمه من أول قراءة، وبعضه شعر لا أحسبني أفهمه حتى اليوم مثل شعر شكسبير<sup>16</sup>. وقد أشرت في بداية هذا المقال مفهوم إليوت للشعر وان الشاعر لا يكتب إلا وهو يحس بان الأدب الأوربي كله منذ عهد هوميروس أدب عصره ويلده بصفة خاصة، يجري في دمه وان هذا الأدب كله يكون في اعتقاده كائنا واحدا، وأن أي جديد لا ينهض إلا على أساس من قديم، هنا يتبادر لنا سؤال مهم عن القيمة الشعرية الجديدة التي ابتدعها؟ والتي أثرت مسيرة التجربة الشعرية يعتقد إليوت Eliot أن الشاعر العظيم<sup>17</sup>، "هو من استطاع استيعاب الحركة الشعرية السالفة له" ولا يكتمل أي موضوع لشاعر ما بنتاجه الشخصي فقط، بل بقدر ما تضمن هذا الموضوع من موضوعات الشعراء الآخرين.

<sup>15</sup> العشماوي محمد زكي دراسات في النقد الادبي المعاصر . دار النهضة العربية ، بيروت 1982 ص: 40

<sup>16</sup> عبد الواحد لؤلؤة . المرجع السابق ، ص: 320

<sup>17</sup> عدنان مكارم .مجلة الموقف الأدبي العدد 122 . 1981 ص: 54

طرح إليوت قضية المنطق العادي فبات الرمز منطق القصيدة الجديدة وأصبحت قصيدة الرؤية الإشرافية ذات الشحنة الإنسانية جمعاء، صارت الصورة معه صورة جديدة، واللغة لغة جديدة. فالحياة التي يعيشها الفرد ويعكسها الشعر، هي حياة قائمة وعاجزة عن تحقيق مثل الإنسان العليا، لذلك على الفرد أن يلتزم بالطهارة والبراءة في عودته الواعية نحو تراث الماضي، الذي يمثل بفكره القدسية الكاملة وتبدو عند إليوت (Eliot) رغبة استمرار الماضي في الحاضر حيث يقول:

- أبريل أقسى الشهوة قسوة
- فيه يخرج زهور أليلك من الأرض الميتة
- تختلط فيه الرغبة بالذكرى<sup>18</sup>

فالرغبة هنا ليست رغبة في الحاضر بقدر ما هي رغبة في الماضي، هذا الماضي الذي يولد في الحاضر طاقة استمرارية في الأخير استنتج أن شاعرية إليوت (Eliot) هي طريقة للمعرفة الذاتية التي قد جسدها في شعره هي أيضا بمثابة جسر الحقيقة لنفسه التي استطاع من خلالها أن يصل إلي تلك القوة الكامنة في أعماقه ، واستخراجها في محاولته لإيجاد ذاته .

## 2- مفهوم الشعر عند إليوت

شعر إليوت (Eliot) شعر حر طليق من قيود الوزن والقافية، قد يخضع لهذه القيود حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع لكنه دائما يحتفظ بموسيقاه الداخلية، كما يحتفظ بمسحة من الغموض ويكثر فيه التشبيه والاستعارة والرمز، على غرار ما نجده في شعر مالارمي 1842-1898، وغيره من شعراء النزعة الرمزية هذه المسحة تتجلى في شكل

<sup>18</sup> عوض لويس. المرجع السابق، ص: 320

حجاب داكن يكسو القصيدة بمسحة من السحر الهيليني وروحانية الشرقية المفتقدة في الحضارة الغربية المعاصرة<sup>19</sup>، من ذلك قوله:

في مساء شتائي خلف مصنع الغاز  
أتأمل في تحطم سفينة الملك أخي  
وفي موت الملك أبي من قبله<sup>20</sup>

هذا الطابع يجده القارئ المنفتح طبيعياً، متى امتزج بجو إليوت ( Eliot ) الشعري، وكلما كان محيطاً بأسرار لغته لاسيما إذا كان الموضوع متصلاً بالأساطير اليونانية التي عاش الشاعر في عالمها روحياً طويلاً، وتأثر واستوحى كثير من موضوعاته منها على أن الأسطورة اليونانية والديانة الوثنية الهلينية، ليس هي مصدر روحه الوحيد كما أنها ليست هي وحدها المسؤولة عن قناع الغموض والأسرار التي تلف شعره، لأن المسيحية أيضاً كان لها تأثير على نفس الشاعر.

• مفهومه للدين:

لا نستطيع أن نفهم قصيدة الأرض اليباب ( The Waset Land ) إلا إذا عرفنا الجو الديني العميق للواقع الذي يعيش فيه الشاعر ويدور في فلكه<sup>21</sup>، لكنه يجب إلا نفهم مما تقدم أن إليوت ( Eliot ) يبشر بالمسحية، ويدعو إلى التمسك بمبادئها كل ما في الأمر هو انه ومثله دانتي والشاعر العربي أبي العلاء المعري وأنبل العواطف التي تختلج النفس البشرية، ربما كانت هذه الصلة بين الأساطير اليونانية، والديانة المسحية في نفس الشاعر والعناصر الدينية في شعره إنما يستشعرها لكي يتخذ منها غطاء لحالته النفسية

<sup>19</sup> أنظر: إسماعيل العربي، من روائع الأدب العالمي، ج 1، 1982، ص: 162

<sup>20</sup> عوض لويس، المرجع السابق، ص: 320

<sup>21</sup> عوض لويس: المرجع السابق ص 293

ولتجاربه الشخصية، والموضوعات الأساسية التي تدور حولها قصيدته عادة تتصل بمشاكل الجنس.

• الجنس:

هذا المخلوق الذي اقلق هدوء النفس وسكونها، يقطع على الإنسان تأملاته ويدفعه إلى عالم المحسوسات والشهوانية، هذا العالم هو عالم الآلهة والأساطير اليونانية، وما كان يحمله من رموز وطقوس دينية إلى تطهير النفس من تلك الصبوات المدنسة، وبالتالي ينتهي إلى الخلاص عن طريق الإيمان، حيث يقول في الأرض اليباب ( The waste land):

أجساد بيضاء عارية في الأرض الواطئة الرطبة  
وعظام مرمية في عليّة ضيقة واطئة يابسة  
بغاية الوحشية  
تيريو<sup>22</sup>

إلى أن يقول:

أنا تايريسياس رغم العمى أختفق بين حياتين،  
رجل بثديي أنثى مغتصبين، اقدر أن ارى<sup>23</sup>  
الموت:

كذلك تدور قصيدته حول الموت الذي تسلط الديانة المسيحية عليها الأضواء، أضواء باهته تعيد النفس إلى حالتها التأملية في الكون، وفي خالقه كذا في مصير الإنسان ، وهذه

<sup>22</sup> عبد الواحد لؤلؤة الشاعر والقصيدة ص: 45 46

<sup>23</sup> عوض لويس. المرجع السابق، ص: 336

الازدواجية والتعلق بأفاق روحية متناقضة، في ظاهر الأمر هي التي تجعل الشاعر شاعر  
قد بين شعراء عصرنا  
هنا يقول الشاعر:

فليباس الفنيقي، قد مات منذ أسبوعين،  
نسي صوت النورس، طير الشيطان،  
نسي صوت اللج  
ونسي الكسب والخسارة  
والتقط عظامه في همس تيار تحت البحر  
وفيما يعلو ويهبط  
مر بمراحل شيخوخته وشبابه  
ودخل الدوامة  
يا من تدبر العجلة وتتنظر صوب الريح  
تذكر فليباس الذي كان مثلك  
وسيما وفارغا<sup>24</sup>

يتضح لي من خلال هذه الأبيات انه يواجه في النفس غول الشهوة التي لا يتميز  
بها الإنسان عن ابسط أشكال الحيوان، التي تربطه بأغلال ثقيلة بعالم الجنس، وتجعله  
يكدح ويتعب من اجل إرضاء غرائزه. نحن على أية حال لا يمكن أن نفهم شعره إلا إذا  
أدركنا منبعه الأصلي، واهتمامات الشاعر العليا واستحضرنا في أذهاننا ما بين الموت  
والحب من التناقض، لأن التأمّلات التي تنمو بالإنسان في العالم الوجود، والحب الطاهر،

<sup>24</sup> المرجع السابق، ص: 33

والأشواق الربانية سرعان ما تجد نفسها وجها لوجه أمام متطلبات الحياة العفنة والفناء الذي ينتظرها.

هذا التناقض بين القمة والحضيض في الحياة البشرية هو في نفس الوقت مصدر الجمال، الخير الشجاعة التضحية القبح الشر الجبن الخيانة والغدر<sup>25</sup>. لان الإنسان الذي تسمو نفسه في الجهاد من اجل وطنه يسعى دوما للتخلص من الاحتلال والعبودية، يضحى بالنفس والنفيس في سبيل مثله العليا.

لو أردنا أن نلخص نظرتنا إلى شعر إليوت لقلنا انه يعبر عن قلق الإنسان من مصيره، وعن تطاحن نزعة الخير والشر المتجاورين في النفس، ومن ثم فانه شاعر الأمل واليأس، شاعر اللذة والتسامي، شاعر الحيوان والملاك، في نفس الوقت أو بعبارة شاعر النضال النفسي السرمدي الذي لا ينتهي إلا بنهاية الإنسانية نفسها<sup>26</sup>.

#### • موضوعاته الشعرية

يعتبر الشاعر الانجليزي إليوت من الشعراء القليلين في العالم الذين جمعوا العبقرية الشعرية والعلم الغزير وآفاقه في المعرفة، وآفاقه في المعرفة تمتد لتشمل الميتافيزيقا المنطق الفلسفة الوضعية (Positivisme) علم النفس واللاهوت، الأدب اليوناني اللغة السنسكريتية بالإضافة إلى اليونانية واللاتينية والفرنسية واللغة الانجليزية التي تضلع في علومها وتعمق في استجلاء أسرارها يسخرها لخدمة أغراضه الشعرية والفنية، بذلك ساعدته معرفته الغزيرة على جمع مادته الشعرية لإثراء شعوره وحسه الشعري، كما

<sup>25</sup> إسماعيل العربي. المرجع السابق ص 164

<sup>26</sup> إسماعيل العربي: المرجع السابق ص 160

مكنته أيضا معرفته باللغات القديمة والحديثة من تزيين عمله الأدبي<sup>27</sup>. تأثر بصفة خاصة بالأدب اليوناني وذلك من خلال استخدامه للأساطير إله الخصب، والأدب الإيطالي دانتي، ومن الأمثلة الدالة على تأثره بالأسطورة قوله :

فليباس الفنيقي ميت منذ أسبوعين  
نسي تصاخب النوارس، ولجة البحر العميق  
والريح والخسارة<sup>28</sup>

أجد أن الأسطورة لعبت دورا كبيرا في أعمال إليوت كانت له بمثابة مرجع لتوسيع أفكاره وأفكار القارئ لشعره.

من أهم الأعمال التي نشرها الشاعر في هذه الفترة قصيدته الكبيرة "الأرض اليباب" (The waset lande)، التي يمكن القول بأنها تعبر عن أهم القضايا الفكرية التي كانت تشغل اهتمام الشاعر منذ وقت بعيد، حيث تحتوي قصيدته على أربع مائة وأربعة وثلاثين بيتا 434، يتوزع كل قسم من القصيدة على النحو التالي ، القسم الأول دفن الموتى **the burial of the daed** على ست وسبعين بيتا، أما القسم الثاني لعبة شطرنج على خمس وتسعون بيتا، في حين القسم الثالث موعظة النار على مائة وتسع وثلاثين بيتا ، أما القسم الخامس والأخير ما قاله الرعد **what the thunder said** فيشمل مائة وثلاثة عشر بيتا<sup>29</sup>.

<sup>27</sup> أنظر: إسماعيل العربي من روائع الأدب العالمي الاتجاهات الأدبية الحديثة في إفريقيا. ارويا. أسيا الجزء 1

1982 ص: 159

<sup>28</sup> عوض لويس. في الأدب الانجليزي الحديث . الهيئة المصرية للكتاب ط3 1887 ص: 343

<sup>29</sup> عبد الواحد لؤلؤة. الأرض اليباب الشاعر والقصيدة. بيروت ط1، 1980، ص: 161

يستهل إليوت ( Eliot ) قصيدته الشهيرة الأرض اليباب بقوله : نيسان أفسى الشهور ... يتحدث الشاعر عن مغامرات شباب في ليلة قصف ولهو في شوارع من مدينة بوسطن ، فيذكر كيف أنه ملئ بالعامية الأمريكية ، والأغاني الشعبية مع تصوير أحوال الجالية الايرلندية في بوسطن آنذاك، رغم أن هذه الصورة حية إلا أنها لا تتناسب مع جدية القصيدة وما يتبع من إشارات وتضمينات هي النقيض الجاد لهذا المقطع الهازل ( دفن الموتى) **the brurial of the dead** صحيح أن إليوت ( Eliot ) معني بالمفارقات الساخرة ، شاب عابث في الليل ينقلب إنسانا عميقا الثقافة مفرط الجد في النهار. لكن هذا النوع من المقابلة بين الهزل والجد يتجاوز الحدود كثيرا، إليوت (Eliot) سخر من نفسه قبل أن يسخر من الحياة كما سبق وأشرت لتصبح القصيدة بعد ذلك وصفا ساخرا لتجارب الحرب والدمار الموت الجنس الحياة.

هي قصيدة كان لها تأثير عظيم في الشعر الأوروبي المعاصر ، خاصة أنها شكلت دفعة جديدة لحركة الشعر الرمزي فالبر غم من الشحنة العاطفية من الشحنة العاطفية التي احتوتها ، إلا أنها بذلك مثلت توازنا دقيقا بين العقل والعاطفة ،، أما خيبة الأمل التي صورتها ما هي إل خيبة الإنسان المعاصر الذي سحقته آلة الصناعة كلا ! إنما هي خيبة الإنسانية جمعاء منذ بداية الخليقة.

#### • خصائص الشعر عند إليوت:

- بناء على ما تقدم يمكن ان نلخص الخصائص الفنية عند النقاد والشاعر إليوت في النقاط التالية:
- وجوب اقتراب لغة الشعر من لغة الكلام والخطاب
- الاحتفاظ بالموسيقى في الشعر لأنها تساعد على تصوير خلجات النفس وقت الانفعال
- عدم استعمال الأسلوب الخطابي في التعبير الشعري

- اللجوء إلى التصوير والأخيلة والرمز والإيحاء للتعبير عن الأحاسيس والانفعالات
- العودة إلى الأساطير القديمة لتفسير الظواهر الآنية للإنسان.

هذه بعض المواصفات الفنية التي ارتآها إليوت في الشعر الجديد والتزمها في قصائده السابقة، و"هي القصائد التي يعتبرها المنهج العلمي الحديث دستور الشعر الجديد ومن العجيب أن إليوت على الرغم من ذكائه الخارق في الشعر الجديد، إلا أنه كان أشد تواضعا من أتباعه في نظرتة للشعر الجديد، كما كانت نظرتة لهذا الفن الجديد الذي اخترعه نظرة طبيعية للغاية اعترف فيها بحق الزمن ونواميس الحياة في تطوير كل كائن، حتى بما في ذلك الفنون التي تحيا وتتطور بحياة صانعيها، وتتطور بتطورهم"<sup>30</sup> الدليل على هذه النظرية أنه كان يرى في الشعر الحر أو نظام التفعيلة الواحدة ليس في الحقيقة إلا مرحلة انتقال لما هو أعمق، وعلى الشعراء أن ينتبهوا لهذا، وأن يكتثروا النظم بهذه الطريقة ثم تأتي مرحلة جديدة تقعد فيها القواعد لنظام شعرهم بعد أن يستقروا على طريقة معينة.

<sup>30</sup> حامد حنفي داود. تاريخ الادب الحديث تطور معالمه الكبرى ومدارسه. ص: 24

## إليوت الناقد:

## آراءه الفكرية ومذهبه الفلسفي والديني

يعد **توماس ستيرنيز إليوت (Thomas Stearns Eliot)** من أشهر الكتاب الإنجليز في العصر الحديث، ناقد، مفكر وشاعر، ذاع صيته واشتهر شعرة لدرجة كبيرة، نتيجة آرائه الثاقبة في قراءة التراث الأدبي بعامة والتراث الشعري بخاصة. كان له تأثير كبير في تجديد الرؤية الشعرية، ومن ثم التأثير في نظريات الأدب المعاصرة. يرى فيه الكثير من المفكرين المعاصرين نموذج الفكر الغربي الحديث، من هؤلاء المفكر كولن ويلسون (**Colin Henry Wilson**) الذي يرى فيه أفضل من يمثل الفكر الغربي، نتيجة انتشار أفكاره في العالم بلغات عديدة، يقول بأنه: "خير ممثل للثورة على الرومانسية في الشعر والنقد، إذ لما قرأنا شعره نلمس فيه ذلك اللحم الرومانسي الحالم.. ينادي دائما بالعودة إلى الشعر الأوروبي القديم، بدأ بالتراث اليوناني والروماني مروراً بدانتلي\* الإيطالي. مثلت الرؤية الدينية في أشعاره الدور الكبير لما كان يعانيه إنسان القرن العشرين من ألم وشقاء وحنين تجاه الحياة"<sup>1</sup>.

يضيف موضحاً مستوى فكر إليوت ضمن الثقافة الأوربية المعاصرة، بحيث صنفه ضمن فئة اللامنتمين، الذين يمثلون عصرهم، لأن . الانتماء - بحسب ويلسون - هو انتساب لحزب سياسي أو عقيدة دينية، أما اللامنتمي فهو "الإنسان الذي يدرك ما تهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واهن، والذي يشعر بان الاضطراب والفوضوية هما عمق تحنرنا من النظام الذي يؤمن به قومه، لقد رأى الماضي أشخاصاً مثل هذا

\* دانتلي ألجيري: (Dante Alighieri) كاتب إيطالي أشهر مؤلفاته: الكوميديا الإلهية (La Divine Comédie) يعد أب الشعر الإيطالي كله. ويعد أيضاً مؤسس اللغة الإيطالية الحديثة.

<sup>1</sup> كولن ويلسون. اللامنتمي. ترجمة أنيس زكي حسن، دار الأدب، بيروت، ط3، 1982، ص: 07.

توفرت لديهم هذه الرؤى المفرغة، إلا أن هذا النوع لم يمثل عصره كما كان يفعل الآن<sup>2</sup>. قدم لنا ولسن كتاب عظيم الرؤية والتدبر للوصول إلى حلول مشاكل عصرنا.

"يقدم لنا أيضا مثال على اللامنتمي النموذجي في الأدب الحديث فيدلنا إلى بطل قصة باربوس الجحيم **Lenfer** الذي يلجا إلى غرفته في الفندق ليغلق بابها ويعيش ليرقب الآخرين من ثقب الحائط، كما يقول انه باربوس يرى أكثر و أعمق مما يجب، هو لا يرى إلا الفوضى، وهنا نلمس نوعا من التشابه بين إليوت وباربوس، نجد رجلا عاش حياته كلها منتميا وفجأة يرى الهوة أمامه، فيصرخ مدعيا أننا لم نكن ذاهبين إلى أي مكان... فالجو الذي يميز عالم اللامنتمي المعاصر جو كرية جدا"<sup>3</sup>.

توماس إليوت هنا شأنه شأن الكثير من اللامنتمين، لم يرفض هذه الحياة "فعالهم مجرد من القيم هو عالم أشخاص بالغين، والفرق بين عالم البالغين وعالم الأطفال هو احد الفروق الرئيسة بين عالم القرن العشرين، وعالم القرن التاسع عشر، كان لا منتمي القرن التاسع عشر طفلا لا ينتظر منه أن يكون متشائما، ولم يكن منتمي القرن ذاته أن يعتقد بأن الخطأ كامن في الطبيعة الإنسانية، " لأن الفلسفة التي كانت غالبية في ذلك العصر كانت تقول بأن الكمال الإنساني شيء يمكن أن يتحقق لهذا ظن أن الخطأ يكمن فيه هو، وكان يعتبر أمرا طبيعيا بالنسبة إليه أن يكون مريضاً مثل شيلر وأن يموت شاباً مثل شيلي، وأن يتناول المخدرات مثل كولوردج..."<sup>4</sup>.

دلالة على أن مشكلة اللامنتمي في جوهرها، ما هي إلا مشكلة حية، عاد فيها ولسن من الأدب إلى الحياة نفسها للتعبير عن مشاكل الطريق التي شقها كل واحد منهم. "يخلص ولسن (Wilson) إلى أن أهم ما يشغل بال اللامنتمي هو عدم رغبته في أن يكون لا

<sup>2</sup> - كولن. ولسون. اللامنتمي، ترجمة أنيس زكي حسن، دار الأدب، بيروت، ط3، 1982، ص: 07.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 07.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 08.

منتميا، إلا انه لا يستطيع أن يتخلى عن كونه لا منتميا ، لأنه لا يريد أن يكون برجوازيا عاديا ، فليس ذلك بالحل الصحيح، مشكلته كيف ينطلق إلى الأمام، هو ليس مجنونًا بل فقط أكثر حساسية من أولئك الأشخاص المتفائلين صحيحي العقول فمشكلة اللامنتمي هي في أساسها مشكلة الحرية لا اقصد الحرية السياسية، وإنما الحرية في معناها العميق أن جوهر الدين هو جوهر الحرية ، لهذا غالبا ما نجد اللامنتمي يلجا إلى هذا الحل، إذا قبيض له أن يجد حلا<sup>5</sup>. مشكلة اللامنتمي لا تكمن فقط في انه يريد أن يكون لا منتميا بل في كونه إنسانا عاديا برجوازيا، وهذا ما شغل الإنسان اللامنتمي عند إليوت في القرن العشرين.

كان الفضل -كل الفضل- في "اكتساب إليوت أحييته في ريادة الثورة الحديثة في تقويم الشعر، لأنه منذ أن ظهرت مقالات في النقد لارنولد عام 1765، لم تظهر أعمال نقدية تصل قيمتها إلى تلك الدرجة التي وصلت إليها آراء إليوت التي ضمنها في كتاباته المختلفة، على الرغم من أن آراء هاوسمان لقيت ذيوعا كبيرا بين طلاب المدارس الذين قرؤوها تحت اسم الشعر وطبعته، إلا أن هذه الآراء لم تختلف عما ذهب إليه ارنولد من عدم تقدير شعراء القرن السابع عشر الميلادي الميتافيزيقيين، فما لا شك فيه أن رجالا كهيوم وازرا باوند، قدأناروا الطريق التي سار عليها إليوت والمكانة المرموقة التي نالها مع كبار النقاد"<sup>6</sup>.

إضافة إلى ما سبق، قد وصف النقاد آراء إليوت في الأدب والفن بأنها "النظرية الموضوعية أو اللاذاتية في الفن (The Impersonal Theory of Art) لأنه كان يذهب إلى الفصل التام بين ذات الفنان والعمل الفني، ويرى إدراك العمل الفني وتقسيمه من خلال موقفه من التراث الخاص بكل فن، ولم تمنع دعوته إلى الفصل بين ذات الفنان

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص: 08.

<sup>6</sup> - ت. س. إليوت، فائدة الشعر وفائدة النقد، ص: 09.

وانتاجه الفني الباحثين من محاولات الربط بين حياته الخاصة، وبعض ما جاء في شعره ومسرحياته، كان يقاوم مثل هذه المحاولات بكل ما أوتي من قوة لان حياته الخاصة كانت تعيسة، عاصفة في فترة نضوجه وبزوغ نجمه شاعرا وناقدا، كان يحاول أن يتشجع على تحمل أعباء الحياة الزوجية عندما بدا المرض يهاجم زوجته الأولى التي ماتت بسرعة، حزن عليها كثيرا ولهذا اثر على كتاباته، إلا انه استطاع أن ينهض معافى بعد هذه الصدمة التي دامت عشر سنوات، والفضل في ذلك ل **فاليري فليجر** زوجته الثانية التي كانت أمينة نشره ومشرفة على أعماله<sup>7</sup>.

"غير أن تحولاً كبيراً طرأ على فن إليوت فكراً وتطبيقاً منذ بدايات الربع الثاني من هذا القرن حين أعلن انه أنجلو كاثوليكي دينياً وكلاسيكي أدبي وملكي سياسي، فوجدت الرمزية لسانها الانجليزي المعبر كما أثرت عن طريقه بعض الآداب العالمية التي لم يشد عنها شعرنا المعاصر. بين في هذا التحول قول **تندال** \* مثلما اقترب أليوت في قصائده الأخيرة من المسيحيين اقتربه من الرمزين، فلم يعد يتكى بصفة أساسية على الصور الشعرية، بل أصبح اهتمامه منصباً على إثارة الفكر والشعور عن طريق الإيقاع والتقريرات النثرية الموحية، على نحو أكثر صفاء ونقاء وتجريداً، هذا التعبير عن الشعور وعن الفكرة بشكل فني استدعى إعادة النظر في القوالب الشعرية، التي كانت في متناول الشعراء الانجليز ومن قبلهم الفرنسيين"<sup>8</sup>.

دلالة على انه كان نموذجاً يحتذى به، نموذج الشاعر الموسوعي الذي ما إن يضع نفسه إمام ثقافات مختلفة ومؤثرات غاية في التعقيد يمتثلها جميعاً طاقته الفنية وإحالتها خلقاً جديداً" ان صلة **اليوت** بالنظرية الرمزية نموذج لهذا التأثير الحر إذ لم يخضع فيها

<sup>7</sup> - كولن ولسون. اللامنتمي، ص: 08.

\* تندال: شاعر إنجليزي.

<sup>8</sup> - محمد فتوح أحمد. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر. دار المعارف، ط3، 1984، ص: 97.

لصبغة مذهبية جامدة، لم يستمدتها من مذهب واحد قد قرأ لآرثر سيمون كتابه التيار الرمزي في الأدب ومن ثمة بدا إعجابه بشعراء الرمزية الفرنسية وبخاصة بودلير ولافوج الذي افتتن إليوت ببنائه الشعري المعتمد على تيار الوعي بدلا من السياق المنطقي".<sup>9</sup>

كما أن فكرة المعادل الموضوعي فكرة أساسية في فهم شعر إليوت فان طريقة الشعر الحر هي الأخرى أساسية في التقويم الصحيح لشعره، لان الشعر الحر\* بالنسبة له كان الأكثر مساعدا في التعبير عن الشعور وفي شكل فني حسن.

"بناء على ما تقدم، يتميز الأسلوب الشعري عند إليوت باتخاذ طريقة المعادل الموضوعي واعتماد الشعر الحر وسيلة في التعبير، إلى جانب وسيلة أخرى وهي المفارقة الساخرة، فهو إذ يتحدث عن نهر التميز في الحاضر الأرض اليباب **The Waste Land** يصفه أوصافا هي النقيض، مما كانت عليه الحال اليوم، كان النهر يغشاه العاشقون عشقا يؤدي إلى زواج، تحملهم زوارق جميلة، تحف بهم حوريات، احتفالا بالعرس ولكن التميز اليوم:

لا يحمل قناني فارغة، أوراق شطائر.

مناديل حرير، علب مقوى، أعقاب دخائن.

أو شواهد أخرى من ليالي الصيف، الحوريات انصرفن.

ورفاقهن المتسكعون من ورثة أرباب المال.<sup>10</sup>

\* الشعر الحر: المقصود منه ليس الوزن والقافية بالشكل المعتاد، بل يعتمد الإيقاع في العبارة، هذا الإيقاع الذي تتكلم فيه الصورة أو الفكرة هو الذي يقرر طول السطر أو قصره.

<sup>10</sup> - عوض لويس. الأدب الإنجليزي الحديث. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1987، ص 333.

حوريات اليوم لسن مثل حوريات الأمس لا تربطهم علاقة بحوريات الصيف، إلا ماكان منها عابرا، والنهر لم يعد نظيفا في ليالي الصيف، هنا يكمن المفارقة الساخرة التي تعبر عن مرارة الشاعر.

"تشير الأرض اليباب **The Waste Land** إلى إشارات وتضمينات عديدة مستقاة من مختلف الآداب، غنية بالشخصيات التراثية التاريخية، وبالأساطير القديمة، وبخاصة أسطورة الكأس المقدسة وأسطورة اله الخصب، تقوم على علاقة ايجابية تخاطب المشاعر والوجدان لتصل بعدها إلى الفكرة التي يرمي إليها الشاعر"<sup>11</sup>

يقول إليوت في الأبيات الأولى من قصيدته الأرض اليباب\* :

إن ابريل اشد الشهور قسوة.

فيه يخرج زهور الليلك من الأرض الموات

وتختلط فيه الرغبة بالذكرى

الجدور الخاملة بأمطار الربيع

والشتاء ادفانا حين دثر

April is the cruellest month breeding

Lilacs out of dead land .miscing

<sup>11</sup> - عبد الواحد لؤلؤة. الأرض اليباب. الشاعر والقصيدة، بيروت، ط1، 1980، ص: 141.

\* الأرض اليباب **The Waste land** أفضل من الخراب، لأن اليباب أوقع جرسا من الخراب، وجرس اللفظة مسألة مهمة في الشعر، تقع في الصميم من اهتمامات إليوت، وهي مأخوذة من العهد القديم، نقول حوض يباب لا ماء فيه، وغياب الماء عن الأرض يجعلها أقرب إلى صفة اليباب منها إلى الخراب.

Memory and desire.stisring

Dull roots with spring rain

Winter Kept us warm .covering <sup>12</sup>

مثلت الإشارات والتضمينات داخل القصيدة وسيلة إيحائية لربط الأفكار ببعضها البعض، ما إن أقرأ القصيدة التمس فيها ما يشبه الرواية، تروي رحلة بحث واستكشاف.

الحركة الأولى فيها "تبدأ بدفن الموتى، فكل قوانين الحياة انقلبت في أرض الضياع رأساً على عقب، حتى الربيع فصل التجديد والإخصاب والحب والدفء والحيوية بعد جليد الشتاء، و صقيعه أصبح فصلاً كثيباً قاسياً، وتحول شهر ابريل إلى كابوس قابع على كاهل أرض الضياع الذين عجزوا عن الدوران مع عجلة الحياة، لذلك فإن حلول ابريل من كل عام مع حلول الربيع، أما البشر المفروض فيهم أنهم الطاقة المحركة والمدركة لمعنى الحياة الواعية بوجودها، فلم يستطيعوا مجاراة هذه الطبيعة في حيويتها وتحولت حياتهم للأسف إلى هباء منثوراً".<sup>13</sup>

هي قصيدة عن مدينة بكل تعقيدات العالم المعاصر، لا قصة عن قرية، عالم اضمحلت فيه الحياة في انتظار عودة الخصوبة، وهنا يكمن سؤال القصيدة ومدى فعاليتها وتأثيرها في ذهن قارئها.

يقول إليوت: نشيطة تهب الريح تجاه الوطن

يافتاتي الايرلندية

<sup>12</sup> - عوض لويس. الأدب الإنجليزي الحديث، ص: 320.

<sup>13</sup> - توماس إليوت. أرض الضياع. ترجمة نبيل راغب،

## أين تنظرين؟

هذه الأسطر الأربع مأخوذة بنصها الألماني الذي قام بترجمته عبد الواحد لؤلؤة الأرض اليباب، والقصيدة التي درس فيها القصيدة دراسة وافية تحليلا وتفسيرا ونقديا من أوبرا "فاكسر". تريستان و"إيزولده" في هذه الأوبرا نجد موسيقى تكون واحدة من الرموز الأساس في قصيدة قوامها البحث عن شقاء لحالة من المرض الروحي نزلت بالعالم المعاصر، كما يراه الشاعر، نجد فيها هذه الإيحاءات التي تروي أحداثا وقعت أو قد تقع، كما نجد مشاهد من ليالي الصيف في قوله:

الصيف فاجأنا 'ينزل على بحيرة (ستارنبركر)

بزخة مطر، توقفنا بذات العمدة،

... ثم واصلنا المسير إذ طلعت الشمس، فبلغنا (الهوفكارتن)

وشربنا قهوة، ثم تحدثنا لساعة<sup>15</sup>

ويقول أيضا:

لا ماء هنا بل مجرد صخر

- عبد الواحد لؤلؤة الأرض اليباب. ص: 103:14

\* تروي هذه الأسطورة أن تريستان فارس من كورنوال مملكة عمه مارك، وكانت إيزولدة أمير إيرلندا، تدور الأحداث على ظهر سفينة متوجهة من الجنوب الغربي من إنجلترا إلى الشمال الغربي من فرنسا. تصل سفينة تريستان لتحمل إيزولدة عروسا لعمه الملك. فوقعت الأميرة في حب الفارس، فتطلب إيزولده من خادمها إحضار شراب الموت، فيحضر لها شراب الحب بدل شراب الموت ويشرب تريستان فيأخذ الحب طريقه إلى قلبيهما، فتصل السفينة إلى الملك. في الفصل الثاني من الأوبرا. أما في الفصل الثالث، نجد تريستان جريحا بسيف أحد اتباع الملك وبعدها وصلت سفينة إيزولدة، يسقط البطل ميتا ثم تسقط إيزولدة في الحال ميتة فوق جسد قتيل الحب.

<sup>15</sup>- عوض لويس، المرجع السابق، ص 321.

صخر ولا ماء والطريق الملتوي صعدا بين الجبال

الطريق الملتوي صعدا بين الجبال

...العرق جاف والأقدام في المل

لو كان ثمة ماء بين الصخر<sup>16</sup>

الشاعر هنا يتحصر على حاله، وعلى حالنا من ذلك العقم الذي لحق المدينة المعاصرة، من ذلك الجفاف الروحي، هي إشارة إلى عنصر الماء منذ بداية القصيدة نهايتها، رمز الخصوبة جوهر الحياة، رمز الأرض، القصيدة من البداية إلى النهاية تدور حول الماء.

"لعل قصيدة أربعاء الرماد 1930 من أغنى النماذج، فيها يندمج آخر اثر لما كان يحسه الشاعر من مرارة، ببوارد شجن جديد تعبر عنه مواقف غنائية ذات نبرات مسيحية واضحة يقول فيها

أيتها الأخت المباركة...أيتها الأم المقدسة

يا روح النافورة، يا روح الحديقة

لا تدرينا نخدع بالزيف أنفسنا"<sup>17</sup>

هي المرحلة التي امتدت من فن الشاعر لتستغرق معظم شعره في الشطر الأخير من حياته، فكل ما كتبه منذ ذاك التاريخ ليس إضافة إلى ما فات بقدر ما هو تنمية له .

<sup>16</sup> - المرجع نفسه، ص 337.

<sup>17</sup> - عوض لويس، في الأدب الإنجليزي الحديث، ص 376.

"يستمد إليوت أفكاره من التراث المسيحي خاصة ،وهذا راجع لتأثره بشاعر المسيحية الأول دانتي (Dante) 1265-1321 وما تعلمه عن جيمس فريزر (Freazer) صاحب الغصن الذهبي، من ميثولوجيا مقارنه بمهارة فائقة، ونجد في قصيدة واحدة من الأرض اليباب إشارات وتضمينات من سبنسر وشكسبير ودانتي وغيرهم، هي ملتقى ثقافات شرقية وغربية قديمة وحديثة وثنية ومسيحية.

يشير دانتي إلى الجحيم في البيت الأربع والستين عند إليوت يقول:

حسرات

قصيدة متقطعة كانوا ينفثون<sup>18</sup>

هو البيت الذي يحمل نفس المعنى عند دانتي ،لان الشاعر اقتبسه من ذلك المعنى الذي يقول فيه:

لم

نسمع هناك نداء شكوى ولا بكاء

ولا

صوت حزن سوى حسرات

تتجاوب

أبدا في الهواء الأزلي<sup>19</sup>

18 - عبد الواحد لؤلؤة. الأرض اليباب. ص: 37.

19 - المرجع السابق، ص: 34.

أما ما تضمنه إليوت من سينسر فهو البيت المائة وثمانية عشر الذي يقول فيه:

الريح تحت الباب

مقتبس من بيت سينسر حيث يقول

أما تزال

الريح في ذلك الباب؟

"هي ظاهرة جديدة في الشعر الأوربي نتيجة النشاط العظيم في تجارة الفكر بين الشعوب المختلفة واصطناع الثقافة بالصبغة العالمية يحشو شعرة باختبارات شخصية لا يشاركه فيها احد:

ما أنا بالروسية، بل من ليتوانيا، ألمانية أصلية

ويوم كان أطفالا، نقيم عند الأرشدوق

ابن عمي، أخذني على زلاقة"<sup>20</sup>

هو لا يمهد لهذه الاختبارات الشخصية بل يدمجها في السياق إدماجا دون رابط على طريقة التداعي اللامترابط.

نرى أيضا أن إليوت يكثر فيها من استخدام التشبيهات الآلية ويحدث ثورة في لغة الشعر لعزوفه عن التشبيهات المستمدة من الطبيعة.

يقول في بروفروك Prufrock :

"هيا بنا إذا، نمضي كلانا

حين ينتشر المساء على المساء

كأنه مريض مخدر على مائدة"<sup>21</sup>

ويقول في موعظة النار:

"حين تخفق الآلة البشرية

كأنها سيارة أجرة

تخفق في انتظار راكبها"<sup>22</sup>

كان شعره مثلاً للجدة والغموض في الوقت نفسه، وهذا ما جعل الشعراء الشباب في إنجلترا المثال **أودن وسبنر** وغيرهما يتأثرون به، هذا ما يثبت أننا أمام مدرسة عظيمة، لكل من أبنائها طابعه الخاص. **إليوت (Eliot)** بهذا المعنى شكل نقطة تحول في تاريخ الشعر الإنجليزي لا يقل شأنًا عن أصحاب التجارب المختلفة مثل "مارلو" و"ملتون" و"داريدن" و"هويتمان" وبقية الخالدين، نجده في "أغنية حب الفريد بروفروك" **The sang of j Alfred P rufurok** ليس تماماً الشاعر الفيلسفي الذي نعرفه اليوم، نجده يتقدم باستمرار من الخاص إلى العام ومن الاختبار المادي إلى الاختبار المجرد، من العاطفة إلى الفكر لكن رغم هذا التطور إلا أنه ظل محافظاً ببعض الأفكار الجوهرية الثابتة في مراحل حياته حيث يقول: **لقد عزفت معين حياتي بملاعق القهوة**

والقائل أيضاً سنة 1925: بين التصور والخلق

<sup>21</sup>-عوض لويس. في الادب الإنجليزي الحديث. ص. 293.

<sup>22</sup>- عبد الواحد لؤلؤة. الأرض البياب. ص. 40.

يسقط الظل 2

بين العاطفة والاستجابة

ما أطول الحياة

بين الشهوة و الإرتعاشة

بين القدرة والوجود

بين الجوهر والحلول

يسقط الظل 2

قال أيضا سنة 1940:

قلت لروحي: إهدائي يا روح فالأمل الذي

تأملين آمل في الباطل

قلت لروحي إهدائي يا روح فالحب الذي

تحملين حب للباطل

لم يبق لك سوى الإيمان يا روجي

ولكن الأمل والحلم والإيمان

كلها في الانتظار 3



وقد حشيت بالقش رؤوسنا، و وا أسفاه !

شكل بلا قالب، ظل بلا لون

قوة مشلولة، إشارة بلا حركة

هذه ارض الموات

هذه ارض الصبار

هنا تتصبب الأوثان 1

عوض لويس . المرجع السابق، ص: 353

يتضح لي من خلال هذه الأسطر أن الرجال الجوف هم أشبه بقديس كئيب في كاتيدارائية فخمة مخربة ، لان الحروب الكبرى عادة تنتهي بطائفة من الظواهر بعضها طبيعي وبعضها اجتماعي ويعطها الآخر نفسي ، تكثر فيه الأويئة ويزادا عدد المواليد وتنتشر المذاهب الجديدة والأزياء الفاضحة والاستهتار الجنسي ونزعات التصوف والجمعيات الدينية ومخاطبة الأرواح، لا غرابة في ذلك فالمن تكسر روح الإنسان، (إليوت Eliot) شاعر عامر بإنسانيته، وقصيدتا الأرض الخراب (The waset land) والرجال الجوف The Hollow Men ، نموذجين جيدين لهذا الحزن العميق، لأن شعره في فترة ما بين الحربين كان شعر كارثة . وفنه فن منصرف إلى استنباط الرموز الصالحة للتعبير عن جذب الحياة الإنسانية، وهذا الرمز في الرجال الجوف لون من التصوف المسيحي لان فيها تصويرا لرؤى تجلت أمام الشاعر في عالم المجهول .

كان تصوف محدود لأن الرؤية غير واضحة، تصور مستعار من تأملات الغير ليس تصوفًا صادقًا مبنيا على الاختبار المباشر مثل ثمرة اجتهاد المفكر في اختراق الغيب أكثر من الشرق الصوفي في ساعة الوجد يقول إليوت ( Eliot ):

العيون ليست هنا

لا عيون هنا

في هذا الوادي الأجوف

تجلت العيون من جديد

كا لنجم الدائم

في مملكة الموت، دولة الغسق

التي لا يطمع فيها

1 إلا الرجال الجوف1

1. عوض لويس. المرجع السابق، ص: 357

بل لولا تلك العيون التي يراها الشاعر في مملكة الموت تشرق كشعاع الشمس على العمود المحطم، لما كان هناك تصوف ولا رؤية، نحن نحار في تفسير هذه العيون لا ندري أهي عيون الحكمة الإلهية أو عين الضمير الإنساني أو عيون أخرى يراها الشاعر وحده من دون خلق الله، لكنها على كل حال تذكرنا بعيني بياتريس محبوبة دانتي Dante اللتين جاء في الكوميديا الإلهية *la comédie Divine* أن لهما ضياء

يغشى الأبصار ويؤذي الناظرين لا حرج من هذا الفهم لأنه لا يريد أن يقترب من الضياء لئلا يتلفه، هنا يصور إليوت (Eliot) عيني بياتريس بعيني الفينيقي الملاح قائلاً:

انظر لؤلؤتين كانتا عيناه

هذه بيلاونا سيده المواقف

.....سيده الصخور 1

كذلك تذكرنا الوردة كثيرة الأوراق بما جاء في الكوميديا الإلهية ( La Divine Comédie، من أن الملائكة تجتمع في صورة وردة حول الله في اعلي طبقة من طبقات الفردوس ، لكن الخطر كل الخطر أن نجزم بشي نهائي في هذا السبيل، ويغض من صوفيته انه غاضب ويأس وحزين، لأن صوفيته الحقّة تتنافى مع كل هذه العواطف الكدرّة، التي تقوم على الاندماج في الكل والاتحاد مع سر الكون وسقوط الغشاء الذي يعوق الحواس من التغلغل فيما وراء الظواهر، وحالة الإشراق هذه تبعث في النفس الرضا المطلق كما فعلت مع "وردزورث" و "جوته" وكيف يغضب أو يحزن من يرى وجه الله ؟

تعتبر كل من الأرض اليباب (The waste Land) والرجال الجوف ( The Hollow Men ) عن إرادة الموت الكامنة في المجتمع الأوروبي، تلك الإرادة التي نجدها عند واضحة وقوية في كتاب شجنلر (1880 1936) انهيار الغرب أو "سقوط الغرب"، لم يصل قط إلى الصفاء الأبدي، هو ليس شاعرا صوفيا بل شاعر دينيا على طريقة خاصة، انتقل فعلا من المرحلة الأولى من حياته الفنية مرحلة الغضب اليأس، الحزن، الحيرة، الشك، إلى مرحلة ثانية مرحلة الدعوى لعقيدة ايجابية، اعتنق الكاثوليكية على الطريقة الانجليزية تخلى على جنسيته

شنلجر: فيلسوف ألماني مثالي من أشهر مؤلفاته سقوط الغرب 1918. تشاوم 1921 ، الروسية والاشتراكية 1921.

"الصفاء الأبدي: بمعنى بلوغ أسمى الدرجات مع الالتزام مع الروح القدسية، وهي تعني النرفانا بلغة الهند.

1 عبد الواحد لؤلؤة. المرجع السابق، ص: 40

الأمريكية وتجنس بالجنسية الإنجليزية وأعلن في الناس أنه ملكي لا يقرأ المبادئ الجمهورية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة، وجهر بأنه محافظ يحافظ على التراث الإنساني من التجارب الخطيرة.

في عام 1930 طلع على الناس بمجموعة جديدة من القصائد هي أربعاء الرماد، استمد وحياها من الروح الكاثوليكية ومن بعدها جريمة قتل في الكاتيدرائية (Murder in the cothedral)، تصور مقتل القديس توماس بيكت في العصور الوسطى، ثم دخل في مرحلة ثالثة من حياته الفنية 1936، تتميز هذه المرحلة بانصرافه عن الشعر الديني وانشغاله بالشعر الفلسفي كما نعرف من ديوانه الأخير أربع رباعيات، كان محصول كهولته الأخيرة أو شيخوخته الأولى، إليوت (Eliot) هنا يئس من إذاعة جوهر الكاثوليكية في الناس، اكتفى بمخاطبة جمهور محدود من المتأملين، أصبح شاعرا ميتافيزيقيا، شاعرا متأملا فيما وراء الطبيعة على نهج فكري، يعرف وظيفته ويرضى ويلوح بها ، لان مرارته الأولى قد غادرته وان بقى له حزن وبأسه الأول.

يحاول إليوت (Eliot) في الرباعيات الأربع كما يقول هيدجر Heidgger (1889 1976) "أن يخلق فكرتنا الأدبية خلقا جديدا" 1 يقول في الرباعية الأولى واسمها

"بيرنت نورتون": لعل الزمن الحاضر والزمن الماضي كلاهما مشتمل في الزمن المستقبل، للزمن المستقبل مشتمل في الزمن الماضي وا إذا كان الزمن بكليته حاضرا أبديا، فالزمن بكليته ضائع بغير رجعة"2 ، ما كان يمكن أن يكون وما كان فعلا يهدفان إلى نهاية واحدة حاضرة على الدوام في الذاكرة يتجاوب وق خطانا في الدهليز الذي نطرقه، الدهليز المفضي إلى الباب الذي لم تفتحه قط، الباب المفضي إلى حديقة الورد هكذا في ذهنك أصداء كلماتي.

### إليوت

( Eloit ) هنا يتقدم في شعره من الدين إلى الميتافيزيقا، يحدثنا عن لحظة الوجد في حديقة الورد، وفي الشجرة المبتلة، والكنيسة التي تتناوح فيها الرياح حيث يقول:

عوض لويس. المرجع السابق، ص: 300:

2 المرجع نفسه. ص: 302

صرت ادعى فتاة الزنابق

ولكن عندما رجعنا متأخرين من حديقة الزنابق

ذراعاك ممثنتان وشعرك مبلول

.....  
 .....  
 إلى أن يقول : انطلقوا سعدوا ثم انحدروا

إلى حيث كنيسة القديسة ماري ولنوث تعد الساعات

بصوت قتييل على آخر الساعة التاسعة 1

يحدثنا الشاعر عن لحظة الإشراق وما تجلبه من سعادة، لحظات الوجد عنده لا تطول من ناحية ويستعصى مغزاها في مرحلة تدينة قصيرة وباهتة، فالشاعر لا يزعم أن الصوفي يفهم ما يملا نفسه من الإشراق ساعة الاتصال بالمجهول، لكنه يريد أن يفهم مغزى الإشراق ولا يكتفي باستيعابه والتعبير العام عنه. كما يجب أن يفعل الصوفي الأصيل وهو في لحظة انبلاج النور هذه لا يزال واعيا يتذكر مدلول السعادة الأرضية، ويضاهيها بالسعادة الإلهية التي تغمره، فيدرك أن بينهما اختلافا وهذه عملية عقلية تثبت أن صوفي مزيف، أو على الأقل انه يجتهد التصوف اجتهادا ولا يكتفي في تأملاته الميتافيزيقية بنزهة عقله وراء تخوم الأبد.

والجدال الذي أثير حول آخر ما نظمه إليوت ( Eliot ) يجري كما يلي: يقول القائل "إن الكتلة الإنكليكانية لن تقنعي بحال، ولهذا فشعره ينحدر تحت تأثيرها . وزيادة على ذلك فان شعره ليس معاصرا، انه لا يحل أي مشكلة عمالية، انه شعر خاص أو شخصي ولا يستطيع أن يكون لنا ذا جدوى، والشعر اليوم خاص أو شخصي من حيث النوع، وهذه أجدوى صفاته، ولكن الذي يقوله النقاد حقا هو أن المعلومات التي يعرضها إليوت ( Eloit ) ليست خاصة أبدا، وأنها خطة عامة لسلوك ما بذى جدوى لهم فقبولهم هذا الشعر يبدو لهم كقبولهم دعوة الكنيسة الإنكليكانية . لأنهم يزعمون أن الشعر والوقف الديني سيان" 2 .

1 عبد الواحد لؤلؤة. المرجع السابق، ص: 35

2الن تيت. دراسات في النقد. ترجمة عبد الحمان ياغي، مكتبة المعارف بيروت، ط2

1970 ص: 66

لعل إعداده الديني المسيحي الكاثوليكي الأول هو سر إصراره على استخدام حواسه في عملية الاتصال بالمجهول على الطريقة المتصوفة، مهما يكن من شئ فإن إليوت (Eliot) يمثل اتجاها عظيم الشأن في القرن العشرين، وصدق وصف له ولأمثاله من أدباء الكارثة قول الشاعر العظيم سبنسر Spenser فيهم أنهم عوامل هدم في المجتمع الراهن 1 وإليوت (Eliot) من بينهم سيد الهادمين، فهو روح قديم هائم عبر القرون، وهو عبقرى ولد بعد جيله بأجيال رمانه الطبيعي هو القرون الوسطى، وبيئته الطبيعية هي حضارة الإقطاع، هو نهاية مدينة بائدة أو نرجو أن تبيد.

بهذا عجز عن فهم الضرورات المادية والروحية في التطور التاريخي المشهود الذي أصاب المجتمع منذ الانقلاب الصناعي، فنقم على الآلة وعلى أصحابها وحضارتها، وخيل إليه كما خيل إلى صاحبيه عزرا باوند" (Pound Era Iamois) و (توماس هيوم Thomas Hume) أن الإنسانية قد انتحرت عام (1789)، عام الثورة الفرنسية البرجوازية، لعل نشأته الأمريكية قد ضاعفت مقتله للبرجوازية فكان طبيعيا أن يغضب ويحزن ويبأس، وقد وجد فريق من الغربيين في الثورة الروسية العمالية ثورة (1917) مخرجا من المحنة التي أنزلتها الرأسمالية ببني الإنسان، فلسفة إليوت (Eliot) إذا ثورة على ثورتين لا ثورة على واحدة، من هنا كانت رجعيته الأكيدة، لو انه كان من أهل هذا الجيل لتفاعل رغم ما يراه من صور الدمار بدل أن يحزن، يظن بالإنسانية خيرا

رغم وحشيتها وأنانيتها وغفلتها بدل أن يضمر لها سوء الظن، معلنا على الناس عقمها الأبدى متيقنا بأن اليوم أجمل من الأمس وأن الغد أجمل من اليوم، لكنه لم يفعل من ذلك شيئاً لأنه مفكر طبقي يندب طبقة التي اختفت مع زيد القرن. في الأخير استنتج أن الصفة التي تميز به شعره هي صفة الغموض، غموض العمق لا غموض البلاغة اللفظي والزينة، كما اتسم بالإفراط في العقلانية وغياب العلائق المنطقية واستخدامه الصور بإفراط لكنها صور عسيرة على التصور ولا بد من إمعان النظر فيها لتكشف عن مدلولاتها، ظهر على يده ما يعرف بالشعر الحر، العاري عن الوزن والقافية، هذا اللون من الشعر لقي رواجاً لدى طائفة من الشعراء العرب المحدثين والمعاصرين.

"عزرا باوند Pound Era Iamoiis ناقد وشاعر امريكي

توماس هيوم Thomas Hume ناقد وشاعر امريكي

1 عوض لويس. المرجع السابق. ص: 303

إن لظهور الشاعر توماس إليوت ( Eliot ) تأثير كبير على النقد العربي، عرض نظراته النقدية في طائفة من مؤلفاته ثم طبقها في قصيدته المشهورة "الأرض اليباب" حيث اهتم إليوت بالتراث الأدبي العالمي وضمنه شعره ومقاطع من روائع التراث الغربي وهو يثبت هذه المقاطع بلغتها الأصلية، فاقتبس من إلياذة هوميروس ومن إنياذة فرجيل ومن جوته ودانتي الإيطالي في الكوميديا الإلهية ومن الشعر الرمزي الفرنسي، وشعر بـودلير خاصّة.

### نظرية المعادل الموضوعي عند إليوت

مثّل توماس إليوت "أول من تطرق إلى نظرية المعادل الموضوعي objective **Corrélatif**، واعتبره أساساً لنظريته النقدية التي استطاعت بدورها أن تؤثر في أكثر من نظرية أخرى في النقد الأدبي الحديث إبتداءً من مطلع هذا القرن، ليس لأن صاحبها شاعر مرموق ذو دولة وسلطان في عالم الإلهام الشعري فحسب، بل كذلك لأنها أتت محصلة طبيعية لسلسلة من الآراء النقدية التي بشر بها شعراء إنجليز وأمريكان مبدعون منذ منتصف القرن التاسع عشر".<sup>23</sup>

دلالة ذلك أن هذه النظرية مثلت دوراً أساساً لنظريته النقدية "والدراسة الحالية تحاول أن توضح فكرة المعادل الموضوعي وما تضيفه من فهم لعملية الإبداع الشعري، كما تحاول ربط هذه النظرية بسياقها الخارجي وتتبع آثارها عند بعض الشعراء والنقاد المحدثين".<sup>24</sup>

<sup>23</sup> - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأولى ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية. مطبعة طربين، 1974-1975، ص: 460.

<sup>24</sup> - المرجع نفسه، ص 460.

فالمعادل الموضوعي في مفهومه العام "مصطلح نقدي يشير إلى الأداة الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف؛ إذ يوفر عنوانا للطريقة التي يقدم بها الفن بمجموعة من التمثيلات التي قد لا يصرح بالعاطفة فيها".<sup>25</sup>

بالرغم من أن إليوت ظل مقتنعا بضرورة كتابة الشعر من أجل الجماهير، فإن الكثيرين لا يرونه قد خطا خطوات عملية من أجل تحقيق هذه الغاية، ووصموا شعره بأنه شعر وعي لا تتفد العاطفة إليه. وهذا ما أنكره إليوت مصرا بذلك بأن شعره في المقام الأول هو شعر تجربة. لم تكن تجربة حسية؛ بل تجربة سقطت فيها الحواجز بين المدرك والمحسوس، فليس الشعر عنده تعبيرا عن العاطفة من حيث هي عاطفة بل محاولة استخدام الفكر لإيجاد صيغ مناسبة للتعبير عن العاطفة في إطار موسيقي.<sup>26</sup>

إن الشعر عنده ليس تعبيرا فقط من حيث هي عاطفة بل يجزم في ذلك بأنها محاولة يستخدم فيها الشاعر الفكر لإيجاد طرق مختلفة للتعبير.

يؤكد أيضا أن هدف الفنان "لا يركز فقط على التعبير عن الفكر من حيث هو فكر أو العاطفة من حيث هي عاطفة، بل يركز على إيجاد معادل موضوعي. وهذا الأخير يتأثر بحد كبير بدرجة ذكاء الشاعر، فكلما كان الشاعر أكثر غنى في معرفته. أصبح أكثر قدرة في صنعته وذلك سر عظمة شكسبير ودانتي. ذلك أن الشاعر عن طريق ذكائه الفذ يكون في موضوع اختيار المعادل الموضوعي الملائم"<sup>27</sup>

<sup>25</sup> - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ت، س، إليوت، اطلع عليه يوم: 2015/03/21 على الساعة 15:00.

<sup>26</sup> - ينظر: ت، س، إليوت، فائدة الشعر وفائدة النقد، ص: 15.

<sup>27</sup> - ت.س. إليوت. فائدة الشعر وفائدة النقد. ص: 15.

زيادة على الفكر والعاطفة في الارتكاز على معادل موضوعي ملائم، لا بد من درجة ذكاء عالية تجعل الشاعر أكثر غنى في معرفته.

كتب إليوت عام 1919 "الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في شكل فن تتحصر في إيجاد معادل موضوعي. وبكلمات أخرى، يعني مجموعة من الموضوعات والأوضاع وسلسلة من الحوادث تكون معادلة لذلك الانفعال الخاص، حتى إذا ما أعطيت الوقائع الخارجية ينبغي أن تنتهي بتجربة حسية. استبعد الانفعال نفسه حالاً، وإن الحتمية الفنية تكمن في هذه الفترة التامة للعنصر الخارجي على التعبير عن الانفعال. وهذا بالضبط ما تفتقر إليه هاملت، هاملت الرجل أسير انفعال مستعصي على التعبير لأنه قوياً بكثير مما تبدو عليه الوقائع.

ومن المرجح أن إليوت لم يكن يرمي إلى إبداع نظرية نقدية جديدة حين كتب هذه الكلمات بمناسبة دراسته له عن هاملت، لكن المعادل الموضوعي أصبح منذ ذلك الحين في نظر المهتمين بالأدب جزءاً مهماً من نظرية إليوت النقدية".<sup>28</sup>

لأن الموضوع عنده يجب أن يعادل الانفعال، وهذا ما أملته دراسته لهاملت، فاهتمامه هنا ظل قائماً كما في نصوصه الأخرى.

"هناك أقوال نقدية كثيرة سبقت إليوت وبشرت بفكرة المعادل الموضوعي قبله، وهذه مقاطع لنقاد مختلفين:

1- وهكذا أيضاً وضع العالم الخارجي، بالنسبة للعقل الذي يحتاج بدوره، حسب حالة تجليه إلى معادله الموضوعي، ومن ثم يكون ضغط موضوع خارجي ما يقدر له أن

<sup>28</sup> - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأوروبي. ص: 463.

يتوافق مع الفكرة المسبقة في قوتها الحياتية أساسا لنمو نهايتها الصحيحة-الانفعال الممتع.

2- إن فن الشاعر هو إلى حد عظيم توطيد الانفعال وذلك بجمع الأشياء المبعثرة التي تثيره عادة ولين المغامرات الرهيبة التي يصبو إليها تحتاج إلى مسرح ملائم والانفعالات الجلية التي تعصف به يجب كل الأحوال أن تجد معادلاتها الموضوعية أو نتوهمها.

3- الطريقة الوحيدة المجدية لإثارة أي شعور معين أبعد من مجرد الشعور الجسدي هي استدعاء الصور المرتبطة طبيعيا بهذا الشعور.

4- لأن الانفعال لا يوجد أو يصبح محسوسا وفعالا فنيا، إلا أن يلاقي التعبير في الوزن أو الصوت أو الشكل أو فيها جميعا، ولأنه ما من نسقين أو نظامين من هذه الثلاثة يعطيان الانفعال نفسه مادام الشعراء والرسامون والموسيقيون يصنعون الجنس البشري ويبطلون ما يصنعونه".<sup>29</sup>

هي مقاطع تقارن مع المعادل الموضوعي لإليوت، إلا أنها لا تؤدي إلى ما يرمي إليه، لأن تتبع الأصل يعني الوقوع في خطأ اعتباره مفهوما مستقلا مفصولا عن مجمل نظريته النقدية وإذا كانت ذا جدوى فما هي إلا تمهيد يساعد القارئ على استيعاب مفهوم المعادل الموضوعي.

بذلك يتضح أن اتجاه إليوت نحو إثراء العقل واحتواء التراث ليس القصد منه تحقيق الجدة العقلية، بل الغرض منه هو إخصاب التجربة العاطفية عند الشاعر بمعادلات موضوعية، تمكنه من التعبير عن نفسه بصورة أفضل ولكنه يعترف في ذات الوقت أن الشاعر في سبيل تحقيق هذه الغاية يضحى بشيء من الوضوح في شعره.

<sup>29</sup> - المرجع السابق، ص: 464 - 465.

يصر إليوت على أن المعادل الموضوعي هو الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال بشكل فن، إذ ينتفي وجود الفن إذا لم يتوفر المعادل الموضوعي، وكما أشرت سابقا أن هناك آراء نقدية سبقته وبشرت بالفكرة قبله، لكنها لم تبرز كمصطلح قائم بذاته إلا عنده، لأنها أساس معظم ما كتبه، يمكن القول أنها ليست نظرية في حد ذاتها، بل مصطلح يعبر تعبيراً ملائماً عن مفهومه للشعر، إذا كانت ذات جدوى فما هي إلا تمهيد يساعد القارئ على استيعاب المعادل الموضوعي ولفهم النظرية لا بد وأن أشير إلى مقومات هذا المفهوم:

1- "القصيدة كشيء قائم بذاته؛ أي العمل الفني كمعادل موضوعي، أو انفعال لا يعرض أو يعبر عنه بل يجسم. وهذا يعني أن الشعر ليس فيضاً عفويًا للانفعال"<sup>30</sup>، بل هي خلق موضوع ناتج عن تجارب الشاعر وتحويلها إلى شيء جديد.

2- "القصيدة في علاقتها مع الشاعر وعملية الخلق، فالشعر ليس تعبيراً مباشراً عن الشخصية، وليس الانفعال مستعاداً في السكينة، إنه تحويل مشاعر مختلفة إلى موضوع مركب جديد في ذهن الشاعر ينبغي أن يكون واسطة مناسبة للمشاعر المختلطة ويبقى محايداً في العملية، وهكذا "كلما كان الفنان كاملاً كان انفصاله أتم عن الرجل الذي يعاني، والعقل الذي يخلق، وكان عقله أقدر على هضم وتمثل العواطف التي هي مادته... وعند كيتس فإن عملية الخلق والعملية الكيماوية متماثلتان من خلال قوله: "إن العباقرة عظام مثل عناصر كيماوية أثيرة تعمل في نطاق العقل المحايد والعملية كالتماثل قائمتان على التحويل، تحويل المواد الأصلية إلى موضوع جديد"<sup>31</sup>.

أي أن كل منهما اعتمد على عناصر أصلية خاصة به لخلق موضوع جديد.

<sup>30</sup> - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأوروبي، ص: 466.

<sup>31</sup> - المرجع السابق، ص: 466.

3- القصيدة في علاقتها بالقارئ أو بالأثر الشعري، والأثر الشعري لا يكون مضمونا إلا حين يترجم الانفعال إلى شئ موضوع، ومن ناحية أخرى من الضروري التكافؤ التام بين الانفعال وبين الشئ الموضوع، وان الترجمة الدقيقة للانفعال تتضمن أن الانفعال الذي ينتجه العمل الفني مختلف بالضرورة عن الانفعال الشخصي أو الحياتي للشاعر؛ أي أنه إذا لم يحول الانفعال إلى الشئ، أو يعادل به، يكون الانفعال الذي يحمل إلى القارئ انفعال لا انفعال فن، وهكذا لا يتأتى أي تأثير شعري.

في هذا يقول إليوت: "إن تأثير العمل الفني في الشخص الذي يتمتع به، تجربة تختلف في نوعها عن أيه تجربة فنية. ذلك يعني استحالة التأثير فيمن يتمتع بحس فني. عند تعريف المعادل الموضوعي أشار إليوت باعتباره معادل ذلك الانفعال الخاص، بحيث إذا أعطيت تلك الحقائق الخارجية التي يجب أن تنتهي بتجربة حسية هي النسيج الذي يصنع منه المعادل الموضوعي في حين أن المعادل هو استيعاب الشاعر لشكله العام"<sup>32</sup>.

أي أن الانفعال موازي للانفعال، والحقائق الخارجية موازية للمشاعر وكلا الأمرين يجتمعان ليكونا القصيدة.

يعلق على ذلك جون كراوانسون موضحا: "...ولكن من المحتمل أن أهم شئ في قول إليوت هو اعترافه بالانفعالات الكبيرة كمقابل للمشاعر الصغيرة، وكأني يجب أن أقول أن الانفعال الكبير يشير إلى استقبالنا للوضع الرئيسي أو للوضع ككل، والمشاعر الصغيرة تشير إلى أن استقبالنا لجزئيات الوضع المتباينة، أو أن الانفعال يتصل بالبيان

الرئيسي، والمشاعر تتصل بالنسيج المحلي . هذه المصطلحات التي تبدو لي عملية جديدة في التحليل النقدي"<sup>33</sup> .

هكذا يبدو أن المعادل الموضوعي لا يقدم نظرية في حد ذاتها ولكنه جزء لا يتجزأ من نظرية إليوت، غير شخصيته في الشعر نظرية الفن اللاشخصي، ولهذه النظرية كما هو معروف مقياس توضيحي للنقد المعاصر .

"أشار هيدجر\* (Heidegger) (1889-1976) ناً الزنبقة التي توصف في بيت من الشعر، ليست الزنبقة الفعلية فالوصف يتعلق بتجربة رؤية أو تخيل الزنبقة والانفعال الذي يثيره الشعر يوجد في الموضوع لا في ذاته، لكن بعد أن يستوعب خيالها من قبل الشاعر .

أي أن الموضوع يصبح قادراً على إثارة انفعال شعري بعد أن استعمل فقط من قبل الشاعر كبديل للانفعال الذي يريد أن يعبر عنه"<sup>34</sup> . ذلك يعني أن نميز بين الموضوعات التي ترتبط ارتباط وثيقاً بالإنسان فاهتمام الشاعر لا يكون منصبا دفعة واحدة للانفعال وإنما يكون انفعال خاص يوجد له في موضوعات خاصة، ذلك أن الشئ الذي يقوم في أية قصيدة لا يكون ولا يستطيع أن يكون شخصية الشاعر .

ربما شاع مصطلح المعادل الموضوعي شيوعاً لم يتوقعه له الكاتب ولم يرمي إليه، بما أن له ميزة البعد الزمني فمن السهل أن نعرف هذه الفكرة ترمي بالتشديد مباشرة إلى

<sup>33</sup> - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأوروبي: 469.

\* هيدجر: فيلسوف ألماني.

<sup>34</sup> - ك ويمزات وكليمنت بروكس. النقد الادبي. دمشق، 1976، ص: 75.

العمل الفني ذاته بوصفه بنية، و مادام الشاعر لا يستطيع أن ينقل فكرته أو انفعالاته من عقله إلى القارئ فلا بد من وسيط ما

أو بتعبير آخر هو اختصار الشاعر للكثير من الإطناب لوصف حالة ما، ما يدفع به إلى الإيلاج في دوائر التعبير والتضمين، هو بذلك يمثل رمزا للدلالة على شئ معين يعادل موضوعيا ذلك الشئ داخل النص . فالتأثير بين الكاتب والقارئ يجري مجراه بواسطة هذه العناصر فهنا تتم موضعه ما يريد الكاتب قوله ، كما أن الناقد يعنى بشكل هذا الموضوع وسماته ، لان هذا الموضوع هو المصدر الرئيسي والحوار إلى استجابة القارئ أيا كانت كما انه الأساس الأول لكل الاستدلالات التي يستدلها عما أراد الكاتب قوله، مع ذلك فان مذهب المعادل الموضوعي هو نوع من المحصلة لها استخلصه إليوت من هولم وازرا باوند من

الرمز بين الفرنسيين في النظرية والممارسة ، فقد حاج الرمز يون بان الشعر لا يستطيع أن يعبر عن الانفعال التي يتم بها الاستحضار، بهذا يصنع المعادل الموضوعي تشديدا كاملا في تضاده مع الرومانتيكية.

### نظرية المعادل الموضوعي عند إليوت

مثّل توماس إليوت "أول من تطرق إلى نظرية المعادل الموضوعي objective **Corrélative**، واعتبره أساسا لنظريته النقدية التي استطاعت بدورها أن تؤثر في أكثر من نظرية أخرى في النقد الأدبي الحديث إبتداء من مطلع هذا القرن، ليس لأن صاحبها شاعر مرموق ذو دولة وسلطان في عالم الإلهام الشعري فحسب، بل كذلك لأنها

أنت محصلة طبيعية لسلسلة من الآراء النقدية التي بشر بها شعراء إنجليز وأمريكان مبدعون منذ منتصف القرن التاسع عشر".<sup>35</sup>

دلالة ذلك أن هذه النظرية مثلت دورا أساسا لنظريته النقدية "والدراسة الحالية تحاول أن توضح فكرة المعادل الموضوعي وما تضيفه من فهم لعملية الإبداع الشعري، كما تحاول ربط هذه النظرية بسياقها الخارجي وتتبع آثارها عند بعض الشعراء والنقاد المحدثين".<sup>36</sup>

فالمعادل الموضوعي في مفهومه العام "مصطلح نقدي يشير إلى الأداة الرمزية المستخدمة للتعبير عن مفاهيم مجردة كالعواطف؛ إذ يوفر عنوانا للطريقة التي يقدم بها الفن بمجموعة من التمثيلات التي قد لا يصرح بالعاطفة فيها".<sup>37</sup>

بالرغم من أن إليوت ظل مقتنعا بضرورة كتابة الشعر من أجل الجماهير، فإن الكثيرين لا يرونه قد خطا خطوات عملية من أجل تحقيق هذه الغاية، ووصموا شعره بأنه شعر وعي لا تنفذ العاطفة إليه. وهذا ما أنكره إليوت مصرا بذلك بأن شعره في المقام الأول هو شعر تجربة. لم تكن تجربة حسية؛ بل تجربة سقطت فيها الحواجز بين المدرك والمحسوس، فليس الشعر عنده تعبيراً عن العاطفة من حيث هي عاطفة بل محاولة استخدام الفكر لإيجاد صيغ مناسبة للتعبير عن العاطفة في إطار موسيقي.<sup>38</sup>

<sup>35</sup> - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأولى ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية. مطبعة طربين، 1974-1975، ص: 460.

<sup>36</sup> - المرجع نفسه، ص 460.

<sup>37</sup> - الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ت، س، إليوت، اطلع عليه يوم: 2015/03/21 على الساعة 15:00.

<sup>38</sup> - ينظر: ت، س، إليوت، فائدة الشعر وفائدة النقد، ص: 15.

إن الشعر عنده ليس تعبيراً فقط من حيث هي عاطفة بل يجزم في ذلك بأنها محاولة يستخدم فيها الشاعر الفكر لإيجاد طرق مختلفة للتعبير.

يؤكد أيضاً أن هدف الفنان "لا يركز فقط على التعبير عن الفكر من حيث هو فكر أو العاطفة من حيث هي عاطفة، بل يركز على إيجاد معادل موضوعي. وهذا الأخير يتأثر بحد كبير بدرجة ذكاء الشاعر، فكلما كان الشاعر أكثر غنى في معرفته. أصبح أكثر قدرة في صنعه وذلك سر عظمة شكسبير ودانتي. ذلك أن الشاعر عن طريق ذكائه الفذ يكون في موضوع اختيار المعادل الموضوعي الملائم"<sup>39</sup>

زيادة على الفكر والعاطفة في الارتكاز على معادل موضوعي ملائم، لابد من درجة ذكاء عالية تجعل الشاعر أكثر غنى في معرفته.

كتب إليوت عام 1919 "الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في شكل فن تتحصر في إيجاد معادل موضوعي. وبكلمات أخرى، يعني مجموعة من الموضوعات والأوضاع وسلسلة من الحوادث تكون معادلة لذلك الانفعال الخاص، حتى إذا ما أعطيت الوقائع الخارجية ينبغي أن تنتهي بتجربة حسية. استبعد الانفعال نفسه حالاً، وإن الحتمية الفنية تكمن في هذه الفترة التامة للعنصر الخارجي على التعبير عن الانفعال. وهذا بالضبط ما تفتقر إليه هاملت، هاملت الرجل أسير انفعال مستعصي على التعبير لأنه قوى بكثير مما تبدو عليه الوقائع.

<sup>39</sup> - ت.س. إليوت. فائدة الشعر وفائدة النقد. ص: 15.

ومن المرجح أن إليوت لم يكن يرمي إلى إبداع نظرية نقدية جديدة حين كتب هذه الكلمات بمناسبة دراسته له عن هاملت، لكن المعادل الموضوعي أصبح منذ ذلك الحين في نظر المهتمين بالأدب جزءاً مهماً من نظرية إليوت النقدية".<sup>40</sup>

لأن الموضوع عنده يجب أن يعادل الانفعال، وهذا ما أملته دراسته لهاملت، فاهتمامه هنا ظل قائماً كما في نصوصه الأخرى.

"هناك أقوال نقدية كثيرة سبقت إليوت وبشرت بفكرة المعادل الموضوعي قبله، وهذه مقاطع لنقاد مختلفين:

1- وهكذا أيضاً وضع العالم الخارجي، بالنسبة للعقل الذي يحتاج بدوره، حسب حالة تجليه إلى معادله الموضوعي، ومن ثم يكون ضغط موضوع خارجي ما يقدر له أن يتوافق مع الفكرة المسبقة في قوتها الحياتية أساساً لنمو نهايتها الصحيحة-الانفعال الممتع.

2- إن فن الشاعر هو إلى حد عظيم توطيد الانفعال وذلك بجمع الأشياء المبعثرة التي تثيره عادةً ولين المغامرات الرهيبة التي يصبو إليها تحتاج إلى مسرح ملائم والانفعالات الجلية التي تعصف به يجب كل الأحوال أن تجد معادلاتها الموضوعية أو نتوهمها.

3- الطريقة الوحيدة المجدية لإثارة أي شعور معين أبعد من مجرد الشعور الجسدي هي استدعاء الصور المرتبطة طبيعياً بهذا الشعور.

4- لأن الانفعال لا يوجد أو يصبح محسوساً وفعالاً فنياً، إلا أن يلاقي التعبير في الوزن أو الصوت أو الشكل أو فيها جميعاً، ولأنه ما من نسقين أو نظامين من هذه

<sup>40</sup> - حسام الخطيب، محاضرات في تطور الأدب الأوروبي، ص: 463.

الثلاثة يعطيان الانفعال نفسه مادام الشعراء والرسامون والموسيقيون يصنعون الجنس البشري ويبطلون ما يصنعونه".<sup>41</sup>

هي مقاطع تقارن مع المعادل الموضوعي لإليوت، إلا أنها لا تؤدي إلى ما يرمي إليه، لأن تتبع الأصل يعني الوقوع في خطأ اعتباره مفهوماً مستقلاً مفصلاً عن مجمل نظريته النقدية وإذ كانت ذا جدوى فما هي إلا تمهيد يساعد القارئ على استيعاب مفهوم المعادل الموضوعي.

بذلك يتضح أن اتجاه إليوت نحو إثراء العقل واحتواء التراث ليس القصد منه تحقيق الجدة العقلية، بل الغرض منه هو إخصاب التجربة العاطفية عند الشاعر بمعادلات موضوعية، تمكنه من التعبير عن نفسه بصورة أفضل ولكنه يعترف في ذات الوقت أن الشاعر في سبيل تحقيق هذه الغاية يضحي بشيء من الوضوح في شعره.

يصر إليوت على أن المعادل الموضوعي هو الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال بشكل فن، إذ ينتفي وجود الفن إذا لم يتوفر المعادل الموضوعي، وكما أشرت سابقاً أن هناك آراء نقدية سبقته وبشرت بالفكرة قبله، لكنها لم تبرز كمصطلح قائم بذاته إلا عنده، لأنها أساس معظم ما كتبه، يمكن القول أنها ليست نظرية في حد ذاتها، بل مصطلح يعبر تعبيراً ملائماً عن مفهومه للشعر، إذا كانت ذات جدوى فما هي إلا تمهيد يساعد القارئ على استيعاب المعادل الموضوعي ولفهم النظرية لابد وأن أشير إلى مقومات هذا المفهوم:

1- "القصيدة كشيء قائم بذاته؛ أي العمل الفني كمعادل موضوعي، أو انفعال لا يعرض أو يعبر عنه بل يجسم. وهذا يعني أن الشعر ليس فيضاً عفويًا للانفعال"<sup>42</sup>، بل هي خلق موضوع ناتج عن تجارب الشاعر وتحويلها إلى شيء جديد.

<sup>41</sup> - المرجع السابق، ص: 464 - 465.

2- "القصيدة في علاقتها مع الشاعر وعملية الخلق، فالشاعر ليس تعبيرًا مباشرًا عن الشخصية، وليس الانفعال مستعادًا في السكينة، إنه تحويل مشاعر مختلفة إلى موضوع مركب جديد في ذهن الشاعر ينبغي أن يكون واسطة مناسبة للمشاعر المختلطة ويبقى محايدًا في العملية، وهكذا "كلما كان الفنان كاملاً كان انفصاله أتم عن الرجل الذي يعاني، والعقل الذي يخلق، وكان عقله أقدر على هضم وتمثل العواطف التي هي مادته... وعند كيتس فإن عملية الخلق والعملية الكيماوية متماثلتان من خلال قوله: "إن العباقرة عظام مثل عناصر كيماوية أثيرة تعمل في نطاق العقل المحايد والعملية كالتماثل قائمتان على التحويل، تحويل المواد الأصلية إلى موضوع جديد"<sup>43</sup>.

أي أن كل منهما اعتمد على عناصر أصلية خاصة به لخلق موضوع جديد.

3- القصيدة في علاقتها بالقارئ أو بالأثر الشعري، والأثر الشعري لا يكون مضمونًا إلا حين يترجم الانفعال إلى شيء موضوع، ومن ناحية أخرى من الضروري التكافؤ التام بين الانفعال وبين الشيء الموضوع، وإن الترجمة الدقيقة للانفعال تتضمن أن الانفعال الذي ينتجه العمل الفني مختلف بالضرورة عن الانفعال الشخصي أو الحياتي للشاعر؛ أي أنه إذا لم يحول الانفعال إلى الشيء، أو يعادل به، يكون الانفعال الذي يحمل إلى القارئ انفعالًا لا انفعالًا فن، وهكذا لا يتأتى أي تأثير شعري.

في هذا يقول إليوت: "إن تأثير العمل الفني في الشخص الذي يتمتع به، تجربة تختلف في نوعها عن أيه تجربة فنية. ذلك يعني استحالة التأثير فيمن يتمتع بحس فني. عند تعريف المعادل الموضوعي أشار إليوت باعتباره معادل ذلك الانفعال الخاص، بحيث إذا

<sup>42</sup> - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأوروبي، ص: 466.

<sup>43</sup> - المرجع السابق، ص: 466.

أعطيت تلك الحقائق الخارجية التي يجب أن تنتهي بتجربة حسية هي النسيج الذي يصنع منه المعادل الموضوعي في حين أن المعادل هو استيعاب الشاعر لشكله العام<sup>44</sup>.  
أي أن الانفعال موازي للانفعال، والحقائق الخارجية موازية للمشاعر وكلا الأمرين يجتمعان ليكونا القصيدة.

يلق على ذلك جون كراورانسون موضحاً: "...ولكن من المحتمل أن أهم شيء في قول إليوت هو اعترافه بالانفعالات الكبيرة كمقابل للمشاعر الصغيرة، وكأنني يجب أن أقول أن الانفعال الكبير يشير إلى استقبالنا للوضع الرئيسي أو للوضع ككل، والمشاعر الصغيرة تشير إلى أن استقبالنا لجزئيات الوضع المتباينة، أو أن الانفعال يتصل بالبيان الرئيسي، والمشاعر تتصل بالنسيج المحلي. هذه المصطلحات التي تبدو لي عملية جديدة في التحليل النقدي"<sup>45</sup>.

هكذا يبدو أن المعادل الموضوعي لا يقدم نظرية في حد ذاتها ولكنه جزء لا يتجزأ من نظرية إليوت، غير شخصيته في الشعر نظرية الفن اللاشخصي، ولهذه النظرية كما هو معروف مقياس توضيحي للنقد المعاصر.

"أشار هيدجر\* (Heidegger) (1889-1976) ناً الزنبقة التي توصف في بيت من الشعر، ليست الزنبقة الفعلية فالوصف يتعلق بتجربة رؤية أو تخيل الزنبقة والانفعال الذي يثيره الشعر يوجد في الموضوع لا في ذاته، لكن بعد أن يستوعب خيالها من قبل الشاعر.

44 - المرجع نفسه، ص: 466.

45 - حسام الخطيب. محاضرات في تطور الأدب الأوروبي: 469.

\* هيدجر: فيلسوف ألماني.

أي أن الموضوع يصبح قادرا على إثارة انفعال شعري بعد أن استعمل فقط من قبل الشاعر كبديل للانفعال الذي يريد أن يعبر عنه<sup>46</sup>. ذلك يعني أن نميز بين الموضوعات التي ترتبط ارتباط وثيقا بالإنسان فاهتمام الشاعر لا يكون منصبا دفعة واحدة للانفعال وإنما يكون انفعال خاص يوجد له في موضوعات خاصة، ذلك أن الشيء الذي يقوم في أية قصيدة لا يكون ولا يستطيع أن يكون شخصية الشاعر.

ربما شاع مصطلح المعادل الموضوعي شيوعا لم يتوقعه له الكاتب ولم يرمي إليه، بما أن له ميزة البعد الزمني فمن السهل أن نعرف هذه الفكرة ترمي بالتشديد مباشرة إلى العمل الفني ذاته بوصفه بنية، و مادام الشاعر لا يستطيع أن ينقل فكرته أو انفعالاته من عقله إلى القارئ فلا بد من وسيط ما

أو بتعبير آخر هو اختصار الشاعر للكثير من الإطناب لوصف حالة ما، ما يدفع به إلى الإيلاج في دوائر التعبير والتضمين، هو بذلك يمثل رمزا للدلالة على شيء معين يعادل موضوعيا ذلك الشيء داخل النص . فالتأثير بين الكاتب والقارئ يجري مجراه بواسطة هذه العناصر فهنا تتم موضعه ما يريد الكاتب قوله ، كما أن الناقد يعنى بشكل هذا الموضوع وسماته ، لان هذا الموضوع هو المصدر الرئيسي والحوار إلى استجابة القارئ أيا كانت كما انه الأساس الأول لكل الاستدلالات التي يستدلها عما أراد الكاتب قوله، مع ذلك فان مذهب المعادل الموضوعي هو نوع من المحصلة لها استخلصه إليوت من هولم وازرا باوند من

الرمز بين الفرنسيين في النظرية والممارسة ، فقد حاج الرمز يون بان الشعر لا يستطيع أن يعبر عن الانفعال التي يتم بها الاستحضار، بهذا يصنع المعادل الموضوعي تشديدا كاملا في تضاده مع الرومانتيكية.

<sup>46</sup> - ك ويمزات وكليبت بروكس. النقد الادبي. دمشق، 1976، ص: 75.



نستخلص في الختام جملة من النتائج التي توصلنا إليها بعد هذه الرحلة مع الشاعر الناقد **توماس ستينس إليوت**. اتضح لي من خلال تتبعي لأهم آرائه النقدية حول الشعر بأن مفهوم الشعر عمده يتمحور حول مستويين أساسيين هما: المستوى النظري كمرحلة للاستعداد، والمستوى التطبيقي كمرحلة للتنفيذ. جمع هذا الشاعر الناقد العبقرية الفذة والخيال الخصب والإدراك اللامتناهي والحياة العملية، فنال بذلك مجدا لا يضاهيه فيه أي شاعر معاصر، على حد قناعاتي، كما بينت ذلك من خلال الدراسة والتحليل. تبلورت هذه القناعة من خلال اكتشافي بأنرويته للشعر تنظيرا وتطبيقا، أثرت في مسار الشعر المعاصر في العالم، بحيث امتدت هذه الرؤية لتعم الساحة الأدبية والفكرية.

راينا بأن نظريته في الشعر تتصف بروية ذاتية لا شخصية تخص جميع الفنون، حيث طغى على آرائه النقدية الفكر الفلسفي والعقائدي، كما تميز شعره أيضا بهذا التوجه الأصولي، لاسيما في قصائده "أربعاء الرماد"، "الرجال الجوف"، وبخاصة "الأرض اليباب"، كما رأينا في هذا البحث.

اتضح لنا بأنه لا يمكن تصنيفه ضمن الأدباء الملتزمين و/أو المنتمين، بحسب **كولن ويلسن**، كما لا يمكن وضعه ضمن الأدباء الثائرين و/أو اللامنتمين، أي إنه منتمي ولا منتمي في الآن نفسه؛ بحيث كان منتما من الناحية الدينية، بوصفه كاثوليكيًا متعصبا، اكتشف في الدين ما لم يكن مكتشفا عند الطلائعيين الثائرين، أي انه وجد الإيمان الذي لم يجده اللامنتمي في ذلك الوقت. وهو أيضا ذو مذهب في الأدب الكلاسيكي يمجده ويستقي منه المعايير الفنية التي يرى فيها شرطا من شروط الكتابة الشعرية. حتى في مجال الحياة السياسية قد كان له اتجاها أيضا، حيث كان "ملكي النزعة"، وبالتالي فان توجهه الأيديولوجي متعدد الروافد ككلاسيكي فنيا، ملكي سياسيا، كاثوليكي دينيا؛ وهذا ما جعل منه ناقدا ملتزما بهذه المبادئ، كما وضحت ذلك من خلال حديثي عن آرائه الفكرية.

أشرت أيضا إلى أنه كان متأثرا بالمذهب الرمزي الفرنسي، وبخاصة بالشعراء **مالارمييه** و**بودلير**، كما تأثر بتيار "الفن للفن"، ويظهر ذلك من خلال شعره، وبخاصة في قصيدة

"الأرض اليباب" التي رأى فيها أن جمال الأرض في خرابها؛ جمع فيها بين عدة مبادئ فنية وجمالية، ومن تيارات مختلفة: الكلاسيكية، الرومانسية، الرمزية، البرناسية وغيرها.

أما المعادل الموضوعي فهو ليس نظرية في حد ذاتها، إنما مصطلح أطلقه إليوت على العلاقة بين الأديب والعالم الخارجي، يرى فيه الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال بشكل فني، بحيث ينتقي وجود الفن إذا لم يتوفر المعادل الموضوعي؛ فهو نظرية تعبر عن مفهومه للشعر من خلال النصوص. لاحظنا - بماء على ما ذهب إليه الكثير من النقاد، بأن هناك فرق بين نظرية المعادل الموضوعي عنده بوصفه ناقداً، وتجسيدها في شعره بوصفه شاعراً، مما يمكننا أن نقول بأن إليوت الشاعر يختلف عن إليوت الناقد، وفي هذا يكمن سر الإبداع الشعري عنده.

جسد إليوت - كما رأينا - شاعريته نقداً وإبداعاً، على أنها طريقة للمعرفة الذاتية في الشعر، وهي جسر الحقيقة لاكتشاف الذات. لقد استطاع إن يصل إلى تلك القوة في أعماقه وان يخرجها في محاولة لإيجاد ذاته، ووجدها بالفعل، كما رأينا من خلال الربط بين انتمائه الفكري وأعماله الأدبية والنقدية؛ لأنه استطاع أن ينتمي وان يكف عن كونه لا منتمياً، وبالتالي استطاع أن يسير قدماً، وفي هذا تكمن شاعريته؛ عبر عن معاناته النفسية تجاه العالم المعاصر، وما آلاييه من دمار وخراب، وكانت "الأرض اليباب" أحسن مثال لوصف هذا العالم العقيم.

اعتمد في كل هذا على الأسطورة، بوصفها فناً تعطي للشعر بعداً إنسانياً ورؤية شعرية شاملة للعالم. كما اكتشفت بأنه تنبأ بتدهور الإيمان وفساد الأخلاق في العالم وفي أوروبا خاصة؛ فالفرد بوصفه مخلوقاً لا يسعها أن يعارض الخالق، فهو بحاجة إلى الله كي يتابع معه نوعاً من الحوار الكئيب، وهذا ما صبغ شعره بالطابع الصوفي كرد فعل لهذا الوضع المتأزم.

وما يمكن استنتاجه أيضاً ان موضوعاته الشعرية اقتصر على فكرة الموت الحياة الجنس بوصفها أفكاراً مجردة ميتافيزيقية، وهذا جانب هام من جوانب الرؤية الفكرية

عنداليوت، بحيث كانت أعماله كلها تتضمن هذا الثالوث الذي كان، وما يزال، موضوع نقاش فلسفي وأدبي في مختلف العصور.

وفي الأخير يمكن أن نلخص رؤية الشاعر الناقد الأنجلو-أمريكي توماس ستينس إليوت الفكرية والأدبية، في كونها كلاسيكية ملكية كاثوليكية؛ كلاسيكية بناء على اعتماده على الأشكال التعبيرية القديمة بوصفها نماذج يحتذى بها؛ ملكية لأنه من أنصار الحكم الملكي، ويعتبره من أفضل الأنظمة السياسية على الإطلاق، وهذا ما جعله يستقر في إنجلترا؛ كاثوليكية لأنه كان مقتنعا بمبادئ الكنيسة الإنجليزية المحافظة.

- 1- إسماعيل العربي . من روائع الأدب العالمي الاتجاهات الأدبية الحديثة في إفريقيا وآسيا  
الجزء الأول 1982.
- 2- ألن تيت. دراسات في النقد . تر/ عبد الرحمان ياغي مكتبة المعارف بيروت ط2.  
1980
- 3- ت إليوت. فائدة الشعر و فائدة النقد ترجمة وتقديم الدكتور يوسف نور عوض دار القلم  
بيروت لبنان ط 198
- 4- توماس إليوت. حفل كوكتيل. ترجمة أمين سلامة
- 5- حامد حنفي داود. تاريخ الأدب الحديث و تطور معالمه الكبرى ومدارسة. ديوان  
المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993
- 6- حسام الخطيب محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية .  
مطبعة طربين 1974. 1975
- 7- عشاوي محمد زكي. دراسات في النقد الأدبي المعاصر دار النهضة العربية بيروت  
1986
- 8- عبد الواحد لؤلؤة. الأرض اليباب الشاعر والقصيدة. ط1/ 1980
- 9- عماد حاتم. مدخل إلى تاريخ الآداب الأوروبية. الدار العربية للكتاب ليبيا تونس 1979
- 10- عزالدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر بيروت ط2 / 1979
- 11- فائق متي. إليوت. دار المعارف مصر ط2/ 1966
- 12- كولن ولسن. اللامنتمي. ترجمة أنيس زكي حسن، بيروت ط3/ 1982
- 13- لويس عوض. في الأدب الانجليزي الحديث. الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
ط2 / 1987
- 14- وليام ك ويمزات وكليث بروكس. النقد الأدبي. مطبعة دمشق 1976  
• المجالات:
- 15- مجلة الموقف الأدبي. العدد 22. 1981  
المواقع الالكترونية:
- 16- الموسوعة الحرة ويكيبيديا [ar.wikipedia.org/wiki/](http://ar.wikipedia.org/wiki/)  
./17w.w.w. Englishawe com/Fi3montada Dam Flower.

المقدمة.....	أ-ب.....
مدخل.....	02.....
- في الأدب الإنجليزي.....	02.....
- القصيدة الغنائية.....	05.....
- السوناتة.....	05.....
- الشعر القصصي في العصر الفكتوري.....	06.....
- أدب ما قبل الحرب العالمية الأولى.....	08.....
- شعر ما بين الحربين.....	08.....
- بعد الحرب العالمية الثانية.....	09.....
- الشاعر الناقد إليوت.....	09.....
- بيليوغرافيا مؤلفاته.....	12.....
الفصل الأول	
- إليوت الشاعر.....	16.....
- الشاعرية عند توماس ستينس إليوت.....	16.....
- مفهوم الشعر عند إليوت.....	26.....
- مفهومه للدين.....	27.....
- الجنس.....	28.....
- موضوعاته الشعرية.....	30.....
الفصل الثاني	
فلسفة النقد والمعادل الموضوعي عند إليوت	
- آراء إليوت الفكرية، ومذهبه الفلسفي والديني.....	35.....
- نظرية المعادل الموضوعي عند إليوت.....	56.....
الخاتمة.....	67.....
البيليوغرافية.....	70.....
فهرس الموضوعات.....	71.....

## ملخص :

ظلت الدراسات المتعلقة بالأدب الغربي عموماً والشعر خصوصاً دراسات قاصرة في وطننا العربي في معظمها، وغير مكتملة في منهج علمي ميسر للغة هذا الشعر، لم يصلنا من روائع هذا الشعر المعاصر الغربي إلا النزر القليل ومن بين الأعمال ومن بين هذه النزر أعمال الشاعر الإنجليزي الموهوب **توماس ستيرنز إليوت** وخاصة قصيدته المعنونة **The Waset Lande**، التي تعد من روائع الشعر المعاصر.

ما يميز هذا الشعر المعاصر انه يثير الكثير من الجدل في الأوساط الأدبية النقدية حيث يقول بعض الدارسين : يثير الشعر المعاصر عند قراءته قضيتين هامتين اولهما المعاصرة، وثانيهما علاقة هذا الشعر بالتراث

بناءً على ما هذا تطرقنا في دراستنا هذه إلى مدخل وفيه رصد لحالة الأدب الإنجليزي في القرن العشرين ثم تلى ذلك فصل غنى بتعريف للشاعر **توماس إليوت** وأهم أعماله، بالإضافة إلى شاعريته وموضوعاته الشعرية، أما الفصل الثاني فاحتوى على الآراء النقدية **لإليوت** والمعادل الموضوعي ودورها في تأسيس النقد الموضوعي لنختم بحثنا هذا في الأخير بخاتمة تظم معظم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة